ثورة الذات أو البناء خارج التغيير

"حتى سنوات مضت لم أكن أعرف"

* * *

لقد عرف اللبنانيون حتى اليوم
أن يقولوا
« اللاّ »الكبرى لأعداء لبنان
ولكن المطلوب اليوم
ان يقولوا «النعم» الكبرى للبنان

ان لبنان مسؤ ولية حضارية ،
فإما ان تتفقوا
فتبقى للحضارة قضية
واما أن تختلفوا
فلا تبقى حضارة ولا تبقى قضية

* * *

امين الجميّل

جورج شامي

ثورة الذات أو البناء طريق التغيير

"عشر سنوات مع أمين الجميل"

التوزيع : شركة الشرق الأوسط
لتوزيع المطبوعات

المقدّمة

الشيخ امين الجميل شخصية مميزة لمع اسمه قبل الأحداث التي عصفت بالبلاد منذ عشر سنوات عندما انتخب نائبا في المجلس النيابي عن منطقة المتن الشمالي فكان ذلك الصوت الواعي الذي حمل الامانة باخلاص ومسؤ ولية كاملة فعرض قضايا المتنيين خاصة واللبنانيين عامة ودافع عن حقوقهم فأثمرت سياسته هذه بسرعة وحققت له شعبية واسعة رفعته الى مركز الزعامة والقيادة .

ثم جاءت الأحداث بمآسيها الكثيرة فبرز الشيخ امين من خلالها قائدا بكل ما لكلمة قيادة من ابعاد ، فذاعت شهرته في لبنان والعالمين العربي والدولي ، وكان رائد الاعتدال والمنطق السليم يحاور بعناد وصلابة متوخيا الحق ، والحرية ، والكرامة ، والسيادة للبنان الوطن المعافى والفعّال . فكان رجل المهمات الصعبة ، سلاحه المنطق والوطنية . خاض معارك سياسية واجتماعية عنيفة واستطاع رغم الظروف الاليمة أن يحقق النصر المبين في معظم الاحيان ولا يزال حتى الساعة يمثل الاتجاه اللبناني الحكيم الذي يؤمن بالحوار البنّاء أساسا صالحا لحل المشكلة اللبنانية المستعصية .

وبما أن الشيخ أمين الجميل صاحب رأي ثاقب ومنطق سليم فقد تلقى عدة دعوات من زعماء العالم فلباها كلها حاملاً في قلبه الكبير

قضية لبنان معرفاً العالم على حقيقتها محاولاً حث هؤلاء الزعماء على التحرك لفك الحصار المضروب حول لبنان ، وفتح ثغرة عبر النفق المظلم للخروج بلبنان من اجواء الاستنزاف .

قام الشيخ أمين الجميل بهذا التحرك يوم شعر أن البلاد تكاد تصل إلى درجة اليأس ، فالاهتراء يزداد على الصعيد الداخلي ويعم جميع القطاعات والفئات ولبنان يسير الى الوراء في حين ان الطاقات القادرة على شده الى الامام راحت تغادره .

في هذا الوقت كان الفراغ يكبر على صعيد الدولة فلا تحركها اعطى نتيجة ، ولا التحركات العربية والغربية بدت نافعة ، واصطدمت كل الحلول بهذا الفراغ المميت ، فعم الضياع الشعب اللبناني بأسره ، ووقف المواطن حائرا لا يعرف كيف يتصرف : فالشرعية المفروض فيها أن تحميه كانت عاجزة وبحاجة الى من يحميها بعد أن تحولت الى أضعف فئة بين الفئات المتصارعة على الأرض . فضاع الامن وعمّ الغلاء الفاحش ، انهارت الاخلاق ، واصبح الانسان اللبناني مهجرا في بلده ، ضائعا ، لا معين له بعد أن تخلت عنه الدولة والأشقاء والاصدقاء .

في هذا الوقت كانت المقاومة الفلسطينية توظف اتفاقات كمب دايفيد وما تركته من انعكاسات على المنطقة لمصلحتها وعادت تبرز على الساحتين العربية والدولية وبعد ان كادت تغرق في وحول الأحداث اللبنانية خلال حرب السنتين (١٩٧٥ ـ ١٩٧٦) أنقذت نفسها ومدت الجسور مع عدد من الدول الأوروبية الكبرى بانتصار الانفتاح على الولايات المتحدة .

وكان الدور السوري يتعاظم يوما بعد يوم اذ ان سوريا امسكت من خلال وجودها في لبنان بورقتين اساسيتين : الورقة الأولى هي لبنان كدولة لها حدود مع اسرائيل وورقة المقاومة الفلسطينية وهي ورقة ضاغطة في أي حل لأزمة المنطقة .

وقد ازداد خطر الدور السوري بعد أن تخلى العرب كل العرب عن لبنان تجنباً لأي اصطدام مع سوريا والمقاومة الفلسطينية .

يقابل هذه الأخطار كلها موقف اسرائيلي مراوغ وغامض يضمر غير ما يعلن وهمه الوحيد اذكاء نار القتال خدمة لمصالحه الخاصة . حتى ان اسرائيل راحت تروج في الخارج بأن لبنان انتهى وان الاهتمام والدعم يجب أن يتحولا الى اسرائيل التي تعتبر وحدها القادرة على تحقيق التوازن في المنطقة .

أما على الصعيد الدولي فكانت الولايات المتحدة منشغلة بأمور كثيرة الا بلبنان . لقد

أصبحت سجينة سياسة كمب دايفيد . فهي لا تستطيع التخلي عنها ولا فرضها على الأطراف فضلا عن أن الرئيس كارتر كان منهمكا في الاعداد لمعركته الانتخابية .

والاتحاد السوفياتي بدوره كانت له مشاكله ومصالحه ، فقد خسر مصر نهائيا وتردت علاقاته مع العراق وبعض الدول العربية كما إنه بدا منشغلا بتأمين خلافة ليونيد بريجنيف الذي كان المرض قد اشتد عليه .

هذه هي الصورة التي تكونت أمام الشيخ أمين الجميل في ذلك الحين فرأى ان يحمل القضية اللبنانية بنفسه إلى المحافل الدولية لعرضها على أصحاب الحل والربط فسافر إلى النمسا والولايات المتحدة وكندا وألمانيا الغربية فكان لمحادثاته مع زعماء هذه الدول أثر كبير على مسار المشكلة اللبنانية .

فالشيخ أمين الجميل أبى أن يصبح أسير اليأس ويترك مصير البلد معلقاً بالقدر ، بل يحاول إيجاد ثغرة أمل من خلال النفق المظلم واعتبر أن المصير اللبناني مرتبط بارادة بنيه وقدرتهم على الصمود والمبادرة . فاللبنانيون ، بجميع فئاتهم ، باتوا ينشدون السلام والأمن وأصبحوا أكثر تعلقا بالدولة وبالجيش وبالأرض وبالأمن . إنهم يريدون الوفاق ويسعون اليه ولكنهم كانوا بحاجة إلى من يحرك قواعد الوفاق .

الشيخ امين والقضية اللبنانية

الشيخ أمين الجميل لبناني عنيد في ايمانه بوطنيته فهو بصفته عضواً بارزاً في حزب الكتائب اللبنانية يؤمن بمبادئه ومن أبرزها الإيمان بالله وبالوطن وبالعائلة .لقد فتح عينيه على حب هذا الوطن الجميل وتلقى أصول الدفاع عنه على يد والده الشيخ بيار الجميل وهو صاحب مدرسة كبرى في الوطنية والاخلاص والوفاء . وراح هذا الحب ينمو معه ويكبر حتى بات هاجسه الاول فهو يقول :

« بقي لبنان يطل على هذا العالم ، ليؤكد ان ليس أجدر من الإنسان نفسه أساساً لبناء أية دولة او لصياغة اي كيان » .

دحضاً للمزاعم المغرضة التي روّجها أصحاب العقائد المستوردة من الخارج والتي اتهمت الكتائب اللبنانية بالانعزالية يقول الشيخ أمين الجميل :

« لا معنى أن يعيش الانسان ضمن فصيلته ، بل الرهان الحقيقي أن نثبت أننا قادرون على اللقاء مع الآخر ، على التفاعل الإنساني ، اذ آن الأوان كي يخرج التاريخ الحضاري للشعوب من

العرقية ، والطائفية ، وأي لون من ألوان التفرقة المستنزفة ، ليدخل في رحاب تجربة جديدة تقوم على الحوار الحضاري بين الشعوب من أجل التكامل بديل التطاحن ،إذ ذاك ، كان لا بد للبنانيين أن يخرجوا من لعبة التراجع بالتاريخ تراجعا يسحق الانسان ويبعثره ، لينطلق بدءاً من الذات الانسانية الحية ، فيحدد مدى التكامل والتفاعل الحيوي الشامل بين الذوات الخلاقة في قلب العالم الصناعي و« المعلوماتي » الضاغط لكي لا نقول العالم المادي الجارف .

وطوال سبع سنوات عرف لبنان خلالها أياماً سوداء لم يسبق له أن عرف مثلها كثرت الشعارات وتعددت الاراء ورافق ذلك حرب اعلامية عنيفة كانت اشد فتكاً من حرب المدافع . وقد اتهمت الكتائب اللبنانية بأنها تعمل للتقسيم ، وإنها تخطط لإقامة الدولة المسيحية ، وعبثاً حاولت القوى اليسارية والقوى المعادية التي كانت تعمل هي نفسها للتقسيم أن تلقي التهمة على الكتائب إذ ان الأحداث كانت ، في كل مرة ، تظهر زيف هذه الادعاءات .

لقد استطاعت هذه القوى ، في البداية ، أن تصور الحرب اللبنانية على أنها حرب طائفية بشعة ولكن الفريق اللبناني الصادق، والكتائب في الطليعة، استطاع أن يكشف زيف المؤامرة .

وكان للشيخ أمين الجميل دور كبير في اظهار الحقيقة في مواقف عديدة ـ فهو لم يترك فرصة الا وعبر فيها عن تمسكه بوحدة لبنان أرضاً وشعباً ، وأظهر تعلقه بكل شبر من هذه الأرض ، مؤكداً تمسكه بالصيغة اللبنانية الفريدة مع الانفتاح على الخارج شرط أن يتم ذلك على أسس ديمقراطية صحيحة . فهو يقول :

« نحن نؤمن ايماناً قاطعاً بضرورة انفتاحنا على المنطقة متحررين من رواسب الماضي او من حساسيات المرحلة الحاضرة ، وهذا يتطلب منهجية تحرك اساسية لا بد أن تقوم على دعامتين :

الأولى : انفتاح كل لبنان بعضه على بعض انفتاحاً خلاقاً لا مختلقاً . لن نقبل أن نعيد مأساة الماضي بالقدر نفسه الذي لا نقبل أن نقع فريسة مؤامرات التفتيت والبعثرة . فنحن نؤمن أن وحدة لبنان تبنى حيثما وحينما تكون حرية وتعددية القناعات فيه حقا ، وهبة تقدمها كل جماعة للأخرى مادة للتفاعل لا للتخلي. عند ذاك تتعين الولادة الفعلية ، الولادة الحقيقية لتاريخ جديد للبنان اللبناني، وتنظيم ذلك عبر الوحدات الاقليمية ، فالتاريخ وحده يخلق المناطق ، اما القانون فيقتصر دوره على تنظيم المناطق واتخاذ التدابير التي من شأنها أن تطور شخصيتها وذاتيتها الفريدة . هذا هو المفهوم الجديد

للديموقراطية اللبنانية . هذه الديموقراطية التي نريد هي ديموقراطية نابعة من الواقع اللبناني ، فبقدر ما الصيغة اللبنانية هي صيغة مركبة بقدر ما الديموقراطية اللبنانية يجب أن تكون ديموقراطية مركبة . فالوحدات الاقليمية ليست للقطيعة او للتقسيم او للانفصال الوحدات الاقليمية هي شكل تنظيمي سليم لدفع روحية الانفتاح واللقاء والتفاعل في اطارها الحيوي» .

« لقد آن لجيلنا أن يخرج من مهزلة التجاذب بين شرق وغرب ، لنجتمع جميعا حول نقطة ارتكاز واحدة هي لبنان اولا ، ومن نقطة الارتكاز هذه ننطلق الى الشرق العربي رجاء التفاعل والتكامل ، والى العالم بأسره رجاء التقدم والرخاء . وهنا تكمن فضيلة الميثاق في أنه وضع لبنان على طريق البدء بالعمل على البحث عن الشخصية اللبنانية » .

الثانية : كل لبنان يلتقي مع الآخرين أو لا يلتقي مع أحد .

« إن أساس الوحدة اللبنانية يحتم على جميع اطراف هذا الوطن وجماعاته الاقرار بأن التوجه الى أي بلد من بلدان المنطقة أو أية دولة من دول العالم يجب أن يكون باسم لبنان الواحد ، وعبر لبنان الواحد ، أي نحن نرفض أن يحسب اللبنانيون المسلمون على العرب ، وان تقطع نتيجة ذلك خطوط الاتصال بين المسيحيين والشرق العربي ، كما نرفض أن يكون التوجه اللبناني الى الغرب حكرا على المسيحيين ، رغم ريادتهم في هذا المضمار ، فكل موقف يجب أن يحظى بشبه اجماع وطني كحد أدنى . . . »

وفي وقت كانت بعض القوى العقائدية الغريبة تعمل وسعها من أجل تقسيم لبنان لأن فيه وحده ضمانة لبقائها على الساحة اللبنانية ، راحت توزع التهم جزافا على الآخرين وفي طليعتهم الكتائب اللبنانية محملة إياها مسؤ ولية العمل على تقسيم لبنان . ولكن اتهاماتها كانت مكشوفة الأهداف والأغراض فلا الشعب اللبناني أخذ بها ، ولا هي أعطت أي ثمار لمطلقيها . فالكل يعلم أن الكتائب اللبنانية تعرضت لضغوط قاسية من أجل القبول بالتقسيم ، وما كان عليها إلا أن تقول نعم لتتبدل الخريطة اللبنانية والكيان اللبناني ، ولكنها رفضت بعناد وأصرت على وحدة الأرض والشعب .

وحيال هذه الحرب الاعلامية الشرسة التي شنت على الكتائب انبرى الشيخ أمين الجميل يرد التهم الى صدور مطلقيها مظهراً الحقيقة على الملأ قائلاً :

« لم يكن أهون علينا أن نقبل بالتقسيم ، إذ كان يكفي أن نومىء بالقبول ، والجميع يدرك مسؤ ولية الكتائب اللبنانية في وقوفها بوجه جميع

المغريات والضغوط التي أتت علينا من كل اتجاه وارتضيناها مسؤ ولية اكبر ، جديرة بمجد الروح اللبناني ، فسلكنا طريق التحدي واقتحام الصعب ، لا الانكفاء في قطعة من الأض صغرت او كبرت : فلبنان ضمير العالم ونبضه الروحي ، أي ان سهم الحضور اللبناني متجه دائما الى الآخر ، يشع من الذات المتميزة بخصوصيات خلاقة ولكنها لا تبقى في دائرة الذات لمجرد أن تتخطاها ، بل لتحقيق هذه الذات على الصعيد الكوني » .

تعددت التسميات والطروحات التي أعطيت للحرب اللبنانية وراحت كل فئة من الفئات المتصارعة على الساحة اللبنانية تسميها بحسب ما يتوافق مع مصلحتها .

غير أن أمين الجميل بقي ينظر الى عمق القضية اللبنانية ، ولهذا فإن منطق النوعية الناتج عن المنظار الجوهري للحرب اللبنانية جعله يتوقف أمام ثلاثة عوامل رئيسية :

- الشخصية اللبنانية .
- الحضارة اللبنانية
- البنية السياسية اللبنانية

انطلاقاً من هذا المنظور ، جهدت في هذا الكتاب ، أن أقدم صورة عن الرهان الصعب الذي حمله الشيخ امين الجميل خلال أقسى أزمة يعانيها الوطن الجريح في تاريخه الطويل . فهذا الكتاب يحاول أن يصوغ الخط النامي لحضور شخصية لبنانية مميزة في جميع المواقف والتحركات والانجازات التي سجلتها الساحة اللبنانية ككل لأمين الجميل ، خلال عشر سنوات من نضاله الدؤوب ، بلا كلل أو تراجع .

ولكني أعترف أن هذه الصفحات تبقى مقصرة عن إيفاء أمين الجميل حقه . فمن يعطي لبنان يبقى أكبر من أن يحده حرف .

جورج شامي

الفصل الأول
البحث عن الذات

منذ البدايات الأولى لتحرك امين الجميل ارتسمت شخصية حضوره السياسي وتحددت في علامتين فارقتين ومتكاملتين :

● النضال من أجل الحق لا من أجل اتجاه ، أي لا يكون الالتزام بخط التحرك التزاماً أعمى حتى وإن قاد الى الخطأ أو الهاوية . . . بل جوهر النضال وأساسه التزام الحق من غير ما مواربة أو تشنج . فقيمة العمل السياسي عنده أنه رهان حق وليس رهان انفعال[1] .

● النضال من أجل رسالة هي في العمق وفي الشكل رسالة لبنان التي تتلخص في الدفاع عن حقوق الانسان . من هنا جاءت مختلف مواقفه من القضايا الأساسية والمصيرية في التاريخ اللبناني المعاصر . وللدلالة على بعض معالم هذه المواقف نكتفي بالاشارة الى ظاهرتين :

أ) ايمانه الذي لا يحد بطاقات المغتربين اللبنانيين باعتبارهم عناصر « الامبراطورية اللبنانية في العالم »[2] الكفيلة بتأكيد رسالة لبنان التي هي رسالة الانسان في العالم ، والمعينة على بناء لبنان في الداخل بناء أكثر تماسكاً ، وأكثر عمراناً ورخاء . لذا كان يجب العمل منهجياً على تثبيت الروابط العملية والوطنية بين جميع أبناء الوطن مقيمين ومغتربين .

ب) حرصه الكلي على الدفاع عن القضية الفلسطينية وتجنيد كافة الطاقات لخدمتها اقراراً بالحق الشرعي والعدل العالمي[3] . ولا يخفى ما كان لحزب الكتائب من دور متواصل في هذا الاتجاه وعلى جميع الأصعدة اللبنانية والعربية والدولية .

هذه الجدية في فهم العمل السياسي أنه كفاح من أجل كل ما يجعل الانسان جديراً بانسانيته ، وجدت تعبيرها في هذه المرحلة الأولى عبر منابر ثلاثة :

حزب الكتائب/ البرلمان/ المتن الشمالي.

ويلحظ هنا أن التحرك على هذه المنابر كان متكاملاً ومتداخلاً بشكل عضوي وبضوء التزامه بالعلامتين السابقتين. ولا يتسع المجال لعرض تفاصيل الوقائع، أو معالم الإنجازات، أو لسرد مختلف المواقف التي نشهدها له، بل حسبنا أن نقرأ في معانيها جميعاً مبدأين هما في أساس شخصيته السياسية المميزة.

أولا: منهجية التخطيط

يقوم أسلوب أمين الجميل على التخطيط الانمائي والبرمجة والدراسة الوافية، فهو يأنف عن المواجهة الإعتباطية، كما يكره الانتقاد من غير ايجاد البديل. لذلك، وبعد مراجعة دقيقة لدور أمين الجميل في هذا الاتجاه، في البرلمان خاصة، وفي الحزب وفي اقليم المتن الشمالي، نستطيع أن نحدد مقومات هذا المبدأ كما يلي:

● شجاعته في الكشف عن الفضائح وفي العمل على وضع حد يمنع تكرارها أو استمرارها، وموقفه في لجنتي الدفاع والخارجية بشأن قضية صواريخ الكروتال أحد الأمثلة الدالة[٤].

● اصراره على رفض «الذهنية» البالية التي كانت تعالج بها الأمور في لبنان، والتي كانت تقوم إما على تأجيل القرار الحاسم، أو على المسايرة والتساهل فيما يختص بحقوق الناس والشعب الأساسية، أو على المتاجرة الرخيصة بقضايا الشعب، أو على تمرير المشاريع بشكل اعتباطي، أو على «الترقيع»... فعنده خدمة الشعب لا تكون بالطرح المزايد لما يعانيه بل بتقديم المشاريع، والخطط العلمية، التي تكافح هذه المعاناة. فالمجتمع اللبناني الذي يعاني مشاكل اجتماعية كثيرة تنتظر الحلول، ومنجزات عمرانية كثيرة، أصبحت ملحة لتطوير الحياة الإقتصادية، وإصلاحات إدارية كثيرة تنتظر من يجرؤ على تحريكها... لم يعد ينقذه اجراءات القمع أو الصرف، بل بات كل خلاصه يكمن في «استئصال» أسباب هذه المعاناة[٥] وأول الطريق الى ذلك التخطيط لأنه يستدرك السقوط[٦]. ولكي تكتمل عملية التخطيط هذه، كان من المسلم به اعتماد الكفاءة في توزيع المسؤوليات على أساس يضع الرجل المناسب في المكان المناسب[٧]. إذ الغاية من ممارسة الدولة لمهماتها هو الإصرار على المصلحة العامة ومثابرته على ملاحقة تنفيذ المشاريع الرسمية وعدم التهاون[٨] مع من أو ما يعثّرها، لأن الأمان الطبيعي من أمن التقدم والتطوير، وقيمة التخطيط في انتفاع الشعب من الدراسات التي يصرف الشعب من عرقه ومن أمله لوضعها لا لتحفظ في الأدراج بل لتتحول الى ظاهرة انماء ورخاء.

أمين الجميل ومسؤوليّة الدّفاع عن لبنان

الفصل الثاني

لولا حرب السنتين[1]

من يصنع من : الإنسان أم التاريخ؟

كُثُرٌ هُم الذين صنعهم التاريخ وقلائل من يصنعونه . فهل يستوون جميعاً في موقع واحد . ؟

لقد أفرزت حرب السنتين قيادات سياسية وعسكرية عديدة ، ولكن الفارق بينها جميعاً يكمن في حقيقة أن الكثير منها تقزّم أو هو في طور الإنحسار أو احتفظ بالمستوى الخاص بظروف مآسي الإقتتال . . . مع بدء دبيب العافية الى الوطن ، ويكمن في أن القليل منها صمد واستمر يكبر وتتبلور مسؤ ولياته يوماً بعد يوم فأين الشيخ أمين الجميل في خارطة المواقع التي توزعها هذه القيادات؟

مع عنف الأحداث المتلاحقة ، ومع تعاظم قدرة المقاومة اللبنانية على رد التعدي ، لم يستسلم أمين الجميل « لشهوة السلاح » فكان صوته المتزن في أيار ١٩٧٥ يبينّ أن « الأحداث الكثيرة في لبنان أظهرت أن السلاح ليس هو الحل الصالح للمشاكل اللبنانية »[2] ، ويؤكد في أواخر العام نفسه « طالما اننا نترك مجالاً للشهوات والحساسيات والخضّات النفسانية ، فان الأمور ستتفاقم والأحوال ستتردى . أما الحل ، فهو تضافر جهود الفرقاء الأقوياء من كل جانب في سبيل ايجاد خط وطني واحد نتبناه بقناعة كلية ، بدون حساب لما سيظهر عند الآخرين ، وخاصة تلك الأقليات المغرضة ، والتي هي كالسمك في الماء ، لا يمكن أن تعيش الا بالفوضى . وهدفها الوحيد إما أن تقطف الثمرة الحرزانة أو أن تبقى الأمور على حالها ، حتى ينهار الهيكل على من فيه لأنه ليس لهم ما يخسرونه »[3] ، ويؤكد مرة أخرى في أواسط ١٩٧٦ « إن هذه الحرب أثبتت أن لغة القوة ليست مفتاح الخلاص للبنانيين »[4] .

تحدد هذه الوقفات الثلاث بوضوح « إيمانية » أمين الجميل بوجوب العمل السياسي من أجل عدم ارهاق الأرواح البريئة ومن أجل انقاذ الوطن من السقوط في « مؤامرة الاعياء » . ومن هذه الإيمانية ارتسمت أهمية الدور الذي قام به من أجل وقف الحرب التي نشبت بين القوات السورية العاملة ضمن نطاق قوات الردع العربية وقوات « الجبهة اللبنانية » في أوائل تموز ١٩٧٨ .

تصدر ايمانية أمين الجميل عن تفكير بأن لبنان كما هو لا يشكل كائناً اصطناعياً مؤقت البقاء ، بل هو يؤلف كياناً قومياً له وجوده وتاريخه الخاصان به . كيان من التفاعل بين تعددية حضارية خالية من العقد فتشكل « مطهراً » من المزايدات الغوغائية و« مَعْبَراً » الى قضية كبرى في هذا العصر ، هي تحقيق المحاورة الحضارية مع الآخر لأنه آخر من أجل إدراك الجوهر الحي في كل انسان وفي كل الانسان .

فقناعة الشيخ أمين الجميل بمجالدة لبنان العنيدة لاثبات وجوده تنحدر أولاً من وعي عميق لجذور الماضي ولنبض التاريخ . إنه ثابت الرؤية بـ « أن لبنان للبنانيين ، مسلمين ومسيحيين ، وما جرى ويجري الآن انما هو محنة لا بد وأن تعبر ، وسيعود لبنان آجلاً أم عاجلاً لأصحابه الشرعيين وأبنائه الحقيقيين »[٥] .

ولكن هذه « الإيمانية » لا تتوقف عند حدود إعادة الحال الى ما كان عليه ، وإنما تنشد الأفضل مهتدية بأخطاء الماضي وعثرات الحاضر في سبيل بناء المستقبل « دولة الغد لن تبنى على خدع سلم بها المجتمع اللبناني خوفاً من مجابهة الواقع والحقيقة ولا على مقاييس سياسية مستوردة ومصطنعة بل تبنى على مقاييس نابعة من صميم خصائصنا الإجتماعية والإقتصادية والإنسانية »[٦] .

بالطبع لهذه « الإيمانية » جذورها وهي قادرة في كل حين أن تقوم بواجبها انطلاقاً من مبادئها وعقيدتها ، وهي لم تنتظر الحرب لتقذف بصاحبها الى واجهة الأحداث . فهي كانت موجودة قبل الحرب وكان بالإمكان أن تدفنها الحرب لو لم تكن تتدافع طبيعياً لتتفجر بثقة ، كما كان بالإمكان ان تتلاشى بعد انتهاء الحرب لو لم تكن تلتهب برسالة بينها وبين رسالة لبنان جدلية حضور وتفاعل .

لذلك فأي مساس بجوهر الرسالة يطرح التصدي حتى اللجوء الى القوة ، لأن التخلي في هذه الحالة عن التصدي يعني التضحية بكرامة المواطن ـ الانسان وبحريته «إن مسؤوليتنا كمدافعين تجعلنا نتطلع الى وطن يعيش فيه الانسان بحريته وكرامته . وألا فأي معنى للتضحيات التي يبذلها المقاتل؟ وأية فائدة من هذا الدم الذي يهدر بغزارة منذ سنة ونصف السنة . إن مسؤوليتنا كمدافعين تحتم علينا إعادة النظر بكل ما تسبب

بوصولنا الى هذه الحالة الصعبة. علينا أن نعيد النظر بالذهنية التي تحكمت بنا زهاء أربعين سنة وبالنهج الذي سلكه المسؤ ولون، وبالمقاييس التي اتبعت في معالجة مشاكلنا والأزمات وألا نكون كمن يقاتل للذة في القتال، وليس من أجل قضية، الانسان فيها المحور والغاية»[٧] .

كما أن عدم اللجوء الى القوة المضادة يعني اضمحلال هذه البيئة وانتفاء هذه الرسالة « حربنا هي للدفاع عن ذاتنا ، عن تراثنا ، هي لوقف العدوان على لبنان وشعبه . وعندما نرفع يد الخيانة والغدر وتعود كل النفوس الى صوابها ، يعود لبنان ليلعب دوره الطليعي في خدمة الانسان في كل ظرف ومكان »[٨] .

من أجل تحقيق هذه الغاية ، وهي غاية النضال الكتائبي فان الكتائب مستعدة ، في حس أمين الجميل ، « للتضحية ، ثم التضحية حتى بنفسها ، كما أنها ضحت بأفضل ما لديها من أجل أن تستقيم الأوضاع ويسلم لبنان »[٩] . أي أن الكتائب ليست غاية ذاتها بقدر ما هي ضمير ينبه لاستمرار العافية اللبنانية ، لذلك لم يكن بد « للصمود اللبناني » من أن يتخذ شكلين متفاعلين ومتكاملين للتعبير هما :

- الصمود الفكري ، وهو رفض الخضوع للإرهاب والغوغائية والمزايدات ، إذ القيادة مسؤ ولية صنع القرار وليس الخضوع لانفعالات العامة . وهذا ما حرص الشيخ بيار الجميل على تأكيده « نعلّم شجاعة الهيمنة والسيطرة على الشارع لا الإنقياد له أو الخضوع لغوغائيته »[١٠] .
- الصمود القتالي وهو رفض التراخي والتخاذل أمام الصعاب والمواقف المصيرية ، إذ المدرسة الكتائبية تعلّم على يد معلمها « شجاعة الصمود في الأزمات الخطرة ، مقاومين المداهنات والعروض المغرية والإنتصارات السهلة العجلى . . . نعلّم الصمود حين يسلّم الآخرون سيقانهم للريح ، نعلم رباطة الجأش في أشد ساعات الخطر »[١١] .

وإيمانية أمين الجميل تنسلّ من هذا الإستشراف اللبناني ، ولكن لا لتبقى عند حدود الحدس ، أو الحس ، أو العاطفة ، بل لتنتظم في رؤ ية وطنية مترابطة الأسباب والمواقف والنتائج على أساس من الواقعية الطامحة والاقدام الحكيم ، إذ ليس إلا لبنان أولاً وأخيراً . فلطالما حرص على التأكيد بروح من الآباء تمنع على أمين الجميل إلا أن يكون هو نفسه كل مرة اذ يقول « رغم ما حصل وتكرر بحق مناصرينا وأهلنا في أكثر من بلدة ، من الدكوانة الى جسر الباشا ، الى بيت ملات ، حيث مورس التهجير بصورة معيبة وصارخة ، ورغم ضحايانا وخسائرنا ورغم الأذى المتكرر في انطلياس،

ما كنا نريد أن نجر الى معركة يذهب فيها البريء بجريرة المجرم وكنا نتمنى أن يبقى للخلاف السياسي في المنطقة طابعه السلمي ومجاله الديمقراطي البحت »[١٢] .

« المؤامرة انطلقت من المتن مع استشهاد رفيقنا ريمون رشيد في جل الديب ، وانتهت في المتن مع استشهاد رفيقنا كرم كرم مفوّض القوى النظامية في قسم الزلقا ، لقد خضنا المعارك في كل لبنان ، وفي الأسواق حتى آخر لحظة حيث استشهد الرفيق كرم . فأرض المتن الشمالي كانت المسرح الأساسي للمعارك التي خضناها على أرض لبنان ومن أجل لبنان . والذي خطط لهذه الحرب كان نابغة واختصاصياً في الثورات في العالم ، فهو أجرى مسحاً جغرافياً وبشرياً شاملاً لقدراتنا . ومن ثمّ بدأ بتركيز عناصر الشغب وتوزيعها على المناطق ، في جل الديب وضبيه والرويسات والفنار . وتحت ستار المحرومين والعقائديين ، كانت الأسلحة تتدفق على هؤلاء وأعوانهم من الفلسطينيين ، لقد تمّ تطويق المتن الشمالي الواقع على مدخل بيروت لخنق العاصمة حيث الإدارات الرسمية والمؤسسات العامة ، وفي بداية الأمر ، لم نكن نقدّر بُعد المعركة الإستراتيجي الذي تمثّل بربط تل الزعتر بالبحر عبر حرج تابت والنبعه والكرنتينا وربطها بالضبيه عبر الرويسات وحارة الغوارنة وربطها بالمتن الأعلى وحمّانا عبر المنصورية والمونتفردى ، لكن صمودنا وتصدّينا للمؤامرة أنقذا الوضع »[١٣] .

على مثل هذا تتأكد خطورة الموقف وخطورة المؤامرة التي استهدفت النظام والكيان . ولمثل هذا كان لا بد من أن تقوم « إيمانيته » بدور «العين الساهرة» على تماسك الصفوف وعلى تحركات الاعداء ، وخاصة أن منفّذي المؤامرة حاولوا الشيء نفسه عام ١٩٥٨ « لكن المعطيات كانت مختلفة : لم تكن القوى العسكرية الفلسطينية المنظمة على الساحة ولا الأسلحة كانت بهذه الكثافة ، الانتصار على نتائج محنة ١٩٥٨ كان بالتالي أسهل من الانتصار على نتائج محنة اليوم »[١٤] . وراحوا يعاودون الكرة في بداية السبعينات « عندما بدأت المؤسسات الدستورية تتعرّض لحملات انتقاد وتجريح قاسية ومتواصلة استهدفت الجيش والمكتب الثاني ركيزة الجيش الأمنية ، بقصد تجريده من كل امكانية تحرّك . وقد تبينّ فيما بعد تفاهة التهم الموجّهة الى ضباط المكتب الثاني. لقد استهدفوا الجيش في كرامته وإمكاناته ، وتكرّرت الحملات على رئاسة الجمهورية من خلال شخص الرئيس وصلاحياته . كل ذلك كان مدخلاً الى المؤامرة قصد منه تطويق قدرة المؤسسات الدستورية على التصدّي والمواجهة »[١٥] .

وكان ينقص المؤامرة لكي تبدأ الجيش النظامي ، والمقاومة الفلسطينية كانت جاهزة لهذا الدور ، فركبت هذه الشعارات وتبنتها ، وباشرت التنفيذ : في البداية حصلت معارك محدودة تخلّلتها عمليات قتل وخطف على الهوية ، لتصوير ما يحصل وكأنه فتنة طائفية ، فيضمن اصحاب المؤامرة بذلك حياد الدول العربية والإسلامية . . . والعالم الغربي ايضاً »[١٦] .

ولكن ، هذا الحياد ما لبث ان تحوّل الى تغذية للمعركة والى صب الزيت على النار ، فحاولت « كل دولة بدورها تجيير الاحداث اللبنانية لمصلحتها الذاتية ، بقصد الحصول على مكاسب معينة على حساب لبنان » .

والحسابات كانت كثيرة : الولايات المتحدة وهي الطرف الأساسي في النزاع القائم في الشرق الأوسط لارتباطها في حلف استراتيجي مع اسرائيل ، كانت قد حاولت توطين الفلسطينيين في الاردن عام ١٩٧٠ وفشلت في ذلك ، وأعادت المحاولة في لبنان وفشلت أيضاً . والحسابات الأميركية كانت مهتمة أيضاً ، إذا ما فشلت محاولة التوطين باقامة نظام ديكتاتوري عسكري في لبنان يلجم الفلسطينيين كعامل شغب وإرهاب ويطوق الحركات اليسارية في لبنان والمنطقة .

الإتحاد السوفياتي بدوره كان همه انهاء المشكلة الفلسطينية عن طريق الأيديولوجية الماركسية و. . . هكذا ، فان أحداث الكويت والخليج تطوّق بسرعة ، لكن احداث لبنان تلتهب ولا يسارع أحد الى لجمها أو تطويقها .

الدول الأوروبية تعطف على الفلسطينيين واليساريين ، لارتباط الاقتصاد الأوروبي بالنفط العربي .

كل هذه المعطيات أسهمت في اعطاء صورة مشوّهة عن حرب لبنان ، إذ حاول الاعلام الفلسطيني واليساري اقناع العالم بأن لبنان تركيبة سياسية واجتماعية ناقصة عابرة بدون قيم ، وان المسيحيين فيه يعتدون على المسلمين والفلسطينيين هم الذين يحاولون تطوير النظام .

وطبيعي ان تكون مصلحة اسرائيل في نسف الصيغة اللبنانية لأنها قائمة على نقيضها ، ولأن لبنان بحكم مؤهلاته البشرية والإقتصادية ينافس دورها في المنطقة وفي العالم[١٧] .

حين تتعرض المؤسسات الدستورية لحملات تجريح متواصلة وحين ترفع الشعارات تتحدّى الميثاق والنظام ، وحين يتلقف اليسار المطالب الإسلامية ويتهم المسيحيين بالاعتداء على المسلمين والفلسطينيين لمنع تطوير النظام ، وحين يتم تصوير

ما يحصل وكأنه فتنة طائفية ، وحين تجد الدول الكبرى والأوروبية أن مصالحها تقضي بعدم معاداة العرب أو بكلمة أصح تقضي ببيع المسيحيين ببرميل من النفط خوفاً من انهيار اقتصادها المرتبط أساساً بالنفط العربي ، وحين تكون مصلحة اسرائيل تقضي بنسف الصيغة اللبنانية لأنها قائمة على نقيضها ، وحين يتحرك الفلسطينيون عن إدراك أو عن سوء إدراك وكأن لبنان هو « الوطن البديل » لهم ، وحين تكون المؤامرة قد خطّط لها على يد اختصاصيين في الثورات ، وحين يكون تطويق العاصمة والمتن الشمالي يجري على قدم وساق ، وحين تكون أرض المتن هي المسرح الأساسي للمعارك . . . عند كل ذلك لا بد من الصمود والتصدي لـ « الأزمة ـ المؤامرة » ، ولا بدّ من وجوب وجود ما هو أقوى من الصمود يسيّره ، وأقوى من التصدي يوجّهه ، وأقوى من « حتمية الواقع » يضحدها ، وهذا الأقوى ليس سوى « إيمانية » أمين الجميل : « ان لبنان كالرمال المتحركة تحت اقدام أعدائه ، والمشعل الذي رفعناه اليوم نأمل ان يظلّ متوهجاً ، وان نسلّمه بروح العناد والصمود نفسها الى أبنائنا وأحفادنا ، والكتائب في هذا الصمود أساس »[١٨] .

هذه الإيمانية هي استقراء أعمق أعماق الذات ، تفجير خصوصياتها الخام على ما تحفل من عنفوانٍ وحب للحياة . هذا هو ضمير التاريخ لأنه ضمير الأمة الأصفى ، فتأتي المنهجية العلمية فتجد نفسها متوافقة مع روح هذا الاستقراء .

هذه « الايمانية » التي رغم الحرب والدمار وعنف الأحقاد والضغائن ظلت ترى بوضوح ان « مصلحة لبنان والفلسطينيين تكمن في التفاهم والتحالف العميق بين شعب لبنان والشعب الفلسطيني وحركة المقاومة التي تجهد اسرائيل لاستغلال بعض الثغرات في صفوفها وصفوف اللبنانيين لابقاء الجميع في مستنقع الأزمة اللبنانية حتى يستحيل على الفلسطينيين العمل والتوجه نحو العودة الى وطنهم . وأن سياستنا المشتركة يجب أن تقوم على صيانة وحدة لبنان وعلى مساعدة الثورة الفلسطينية للإنتصار على كافة المؤامرات ولتكريس حق الشعب الفلسطيني بالكفاح لاسترداد وطنه »[١٩] .

كما ظلت تأمل بأن « تصلح النوايا وأن يعود الشعب اللبناني بكامله الى فكره وصوابه وضميره لكي يقتنع بعدم جدوى هذه الحرب ، وتعود الألفة لبناء الانسان اللبناني المنفتح الكريم وأن نكفّ عن هذا الاقتتال الذي هو نقيض للقيم التي امتاز واشتهر بها الشعب اللبناني »[٢٠] .

ولم يخفَ على هذه « الايمانية » ان تنظر الى « حرب السنتين » من منظارين : « منظار الجوهر » و« منظار الوجود » .

فمن « منظار الوجود » ، يقـول الشيخ أمـين الجميل ، « لا شك بأنهـا حرب لبنانية ـ فلسطينية أولاً ، وحرب فلسطينية ـ عربية على ارض لبنان ثانياً ، وحرب عربية ـ لبنانية موضوعها الشرق الأوسط كله ثالثاً ، هذا المنظار الوجودي للحرب يحدّد ابطال هذه الحرب أو العناصر المحلية والإقليمية والعالمية فيها .

ولكن المنظار الجوهري للحرب يجعلنا نحدد أرضيتها والعناصر الذاتية المتعلقة بها والنابعة منها .

ولا بد من القول أن المنظارين ضروريان لفهم حرب لبنان المعقدة . فالمنظـار الوجودي يتوجّه الى الأفعال واصحابها فيحدد « العناصر الموضوعية » للحـرب . أمّـا المنظار الجوهري فيركز على الأسباب والمسببات ويشدّد على « العناصر الذاتية » .

ففي حين ان منظار الوجود يدحض مثلاً بأن حرب لبنان كانت حرب المقاومة الفلسطينية على لبنان لأن فشلهم في استرداد فلسطـين جعلهـم يفتّشـون عن الوطـن البديل ، فان المنظار الجوهري يصوّر مثلاً حرب لبنان بأنها كانت حرب حضارة فاشلة تريد تفشيل تجربة حضارية ناجحة أو في طريق النجاح . ومن هنا يتضح بأن الأسباب يمكن ان تكون كثيرة في حين ان النتيجة واحدة والنتيجة الأساسية هي أن اللبناني أصبح في وضع يستطيع فيه ، لا بل يحتم عليه أن يطرح كل شيء وفي كل المجالات »[٢١] .

من هنا كان سقـوط شعـار « الوطـن البـديل » وشعـار « كل السلطـة للثـورة الفلسطينية » لأنها « شعارات باطلة وزائفة ولا تدوم طويلاً . ومثلما اكتشفنا نحن تآمر أو انخداع قادة المنظمات الفلسطينية في لبنان وأدركنا تماماً كيف أنهم يخدمون العدو من حيث يدرون أو لا يدرون ، كذلك فاننا نعرف جيداً ان الفلسطينيين سيدركون هم أيضاً بطلان وزيف شعارات زعمائهم الذين زجّوا بهم الى الهاوية قبل أن يرى واحد منهم نفسه في فلسطين »[٢٢] .

ومن هنا كان انتصار خط « الحرية والكرامة » وانتصار الشعب الـذي « برهـن بصموده الرائع انه يستحق الحياة ويعرف كيف ينتصر »[٢٣] ، وانتصار « إيمانية » أمـين الجميل على « الأزمة ـ المؤامرة » إذ عمل على دفع أكثر الأطراف الأساسية الى مراجعة حساباتهم وانقاذ من يستفيق بالتالي من دوار ما يمكن تسميته بـ « صراع القضايا » على أرض لبنان .

الحواشي

١ ـ بدأت هذه الحرب في ١٣ نيسان ١٩٧٥ واتخذت وجوها متعددة منها: حرب لبنانية ـ فلسطينية ، حرب فلسطينية ـ عربية ، حرب عربية ـ لبنانية ، حرب عربية ـ عربية . . .

٢ ـ راجع العمل ٢٠ أيار ١٩٧٥

٣ ـ راجع الانوار ٩ كانون الأول ١٩٧٥

٤ ـ راجع العمل ٢٦ أيار ١٩٧٦

٥ ـ راجع العمل ١٨ آب ١٩٧٦

٦ ـ راجع مجلة «حاليات» اللبنانية الصادرة في شهري تموز ـ آب ١٩٧٧ ، منشورات مركز التوثيق والبحوث حيث نشرت محاضرة الشيخ امين الجميل « الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل » التي ألقاها في ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ في الرابية .

٧ ـ راجع محاضرة الشيخ أمين الجميل في قاعة سيدة النجاة في بكفيا وكانت ضمن سلسلة ندوات «لبنان الجديد» العمل ١٥ آب ١٩٧٦

٨ ـ راجع النهار ١٥ أيار ١٩٧٨

٩ ـ راجع الانوار ٩ كانون الأول ١٩٧٥

١٠ ـ راجع الشيخ بيار الجميل : لبنان واقع ومرتجى ص ٢٣٠

١١ ـ المرجع السابق

١٢ ـ يمكن الرجوع الى الانوار ١٩ كانون الأول ١٩٧٥ حيث يعلق أمين الجميل على حقيقة ما جرى في حارة الغوارنة كما يعرض الى استنفاد جميع وسائل الاقناع التي كان يقوم بها الاب مارون عطاالله « صديق الطرفين »

١٣ ـ راجع « العمل » الصادرة بتاريخ ١٢ كانون الأول ١٩٧٦ ـ بيان الشيخ امين الجميل السّياسي في المؤتمر السنوي لاقليم المتن الشمالي .

١٤ ـ المرجع السابق

١٥ ـ المرجع نفسه

١٦ ـ المرجع نفسه

١٧ ـ المرجع نفسه

١٨ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٧٦ ـ بيان الشيخ امين الجميل السياسي في المؤتمر السنوي لاقليم المتن الشمالي.

١٩ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٧٦

٢٠ ـ راجع «العمل» الصادرةن بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٧٦

٢١ ـ راجع مجلة «حاليات» ، شهري تموز ـ آب ١٩٧٧ ، محاضرة الشيخ امين الجميل التي ألقاها في الرابية في ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ وهي بعنوان : الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل.

٢٢ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ١٨ آب ١٩٧٦

٢٣ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٧٦ ـ بيان الشيخ امين الجميل السياسي في المؤتمر السنوي لاقليم المتن الشمالي .

الفصل الثالث
أمين الجميّل ومسؤوليّة البناء

لأنه لم يبق لدى لبنان ما يضحي به ، ولأن مأساة لبنان الأساسية مأساة دور ، اذ منهم من أراد أن يغيّب هذا الدور ، ومنهم من أراد أن لا يصوغه ، انطلق الشيخ أمين الجميل ، بوعي وبتخطيط ، في تأسيس مرحلة جديدة من تاريخ لبنان الآتي تقوم ، قبل كل شيء، على تكاملية البناء: بناء كل انسان لأن الطريق الصحيح إلى بناء المجتمع السياسي الحقيقي «هو» تطوير شخصية كل منطقة وتعزيز ذاتيتها الاجتماعية والادارية»، وبناء كل الانسان لأن المعرفة الحق لا تأتي من باب واحد، ومن هنا كان التكامل بين جميع المؤسسات: مركز التوثيق والبحوث ـ المركز الحرفي اللبناني ـ جريدة الريفاي ـ بيت المستقبل ـ مؤسسة الخدمات الطارئة ـ تعاونية انطلياس ، وتعاونية الدكوانة ، واتحاد بلديات المتن ، واتحاد الصناعيين ، والمركز الصحي والمستوصفات وبنك الدم ، واتحاد المؤسسات التربوية ، ومفوضية انماء ساحل المتن ، واتحاد أندية المتن ، وأجهزة الأمن والطوارىء ، وتضامن المجتمع ، والهيئات الشعبية ، ومجلس المتن الثقافي الذي أحياه لينضم إلى أسرة مؤسسات الانماء للبنان . . . وهي تمثل قطاعات الثقافة والحضارة وقطاعات الحياة اليومية والاجتماعية المتصلة جميعا بالحاجات الملحة اذ شاء أمين الجميل أن تكون مفتوحة للبنانيين ، جميع اللبنانيين .

لقد كانت قناعة أمين الجميل ثابتة بأن البناء الجدير الذي يجب أن يقوم عليه لبنان الطموح ، يحتم إيجاد المؤسسات المناسبة بأكمل ما يكون وبأسرع وقت ، وقبل أن يأتي الاستنزاف على عصب التحرك اللبناني . إذ من الطبيعي أن يرافق انتفاضة الفطرة اللبنانية لتحمي نفسها انتفاضة بضرورة أن تبني نفسها بناء يفعل في العصر ولا يقتصر على الانفعال والتلقي . . .

قام هم البناء المؤسسي في ضمير الشيخ أمين الجميل وأطلقه مع شلة من رجال هذا الوطن يزرع فيهم روح التضحية والصبر والعناد والايمان والثقة بالحق . . .

فكانت انتفاضة التنظيم « ان أجهزتنا المستحدثة التي ظاهرها ثوري فيما واقعها مؤسسي كانت تعمل على استقطاب النخبة وما أكثرها في لبنان . وخلافا لما تعودت عليه الدولة في اختيارها رجالا يتمتعون بذهنية معينة تطغى عليها العقد ومركبات النقص ، وذلك كنتيجة للتركيبة اللبنانية المتميزة بتداخل الاقطاع السياسي بالعشائر السياسية والطائفية السياسية في ظل نظام يسمى ديمقراطيا ، فقد تحركت أجهزتنا طليقة اليدين يدفعها اناس متفوقون ومخلصون ومتحررون وضعوا نصب أعينهم شعار تحقيق بناء الدولة والمواطن في لبنان»[1] .

والبناء فعل تطوير مستمر . وهو غاية العمل السياسي في الاساس .

ولأجل القيام بعملية « التطوير » هذه لا بد من انتفاضة « مستمرة من أجل الوطن والانسان والدولة » وانتفاضة « مستقبلية باتجاه التاريخ والتراث والحضارة »[2] .

بذلك ، يصبح الانطلاق نحو التنظيم ضرورة حياتية واجتماعية وحضارية ، وتتحوّل المسؤولية من مسؤولية فردية إلى مسؤولية جماعية . وهذا ما يطرح مسألة « الشعور المدني » . فمهمة إيقاظه ودفعه نحو العطاء ولمزيد من التحسّس بالمسؤولية المدنية والأخلاقية تصبح حاجة ملحة ، إذ إن إطلاق هذا الشعور من كبوته يعني توجيه ضربة قاسية لحكم ٣٥ سنة من عمر هذا الوطن ، الذي كشف ابان « حرب السنتين » بأنه لم يكن سوى حكم « كرتوني» .

من هنا يبدأ التحدي . لكن « ايمانية » أمين الجميل ترفض أن ترفعه إلا بالعمل الجدي الصامت .

وهذه الأجهزة المستحدثة جاءت لتعبّر عن ضياع الدولة في مياه السياسة العكرة التي أقعدتها عن القيام بواجباتها الاجتماعية والثقافية تجاه الوطن والمواطن ، كما جاءت لتعبّر عن ضرورة مفقودة تواكب المتغيرّات الظرفية والآنية .

لأن قيمة الامم لا تتحدد بما تملك من تراث أو بما تزخر من كنوز بل تكمن بمدى « وعيها » لهذا التراث والدفع به الى قيم حية باستمرار . . . ولأن المرحلة الجديدة من تاريخ لبنان تقتضي جبهها بأكبر جهدممكن ،وبذهنية جديدة ، أنشأ الشيخ أمين الجميل مركز التوثيق والبحوث الذي أراده « مركزا محركا » إذ لا بد في قناعته من أن يطلع في لبنان فكر جديد ليواجه الأسئلة الجديدة التي يشهدها المجتمع المعاصر . فلن يردم عمق التشقق داخل الهيكل اللبناني غير خصوبة الفكر اللبناني .

من هنا أخذ مركز التوثيق والبحوث يعمل على :

كل هذه الانجازات والأعمال مقدمة أساسية في اعتقاد أسرة مؤسسات الانماء للبنان لصياغة خصوصيات الشخصية اللبنانية الحية في « مرتكزات »، لوعيها والتأمل فيها أساسا للتحرك بعافية نحو تحقيق الرسالة اللبنانية . وبهذا ننقل الوجدان الابداعي من التراكمية إلى الخلق، وبهذا نحقق ديمومة الانتفاضة اللبنانية في خطها الفعال. لأن لبنان مدعو الى مغامرة جديدة لانقاذ القيم الانسانية من تآكلها وانحلالها أي هو مدعو إلى استكمال تجربته الرائدة في تحقيق التفاعل الحي بين الخبرات الحضارية: فبقدر ما هو لبنان «خلاصة» الحضارات هو كذلك فعل «خلاصها» من أي تشكل زائف.

واذا بالتحدي يفترض ورشة بناء شاملة متكاملة ، فكانت ولادة « مركز التوثيق والبحوث » .

ومن هنا اعتمد المركز على التجهيزات العصرية من آلات الميكروفيلم والكمبيوتر ليكون بحق بمثابة بنك للمعلومات .

وكانت أيضا ولادة « بيت المستقبل » ، الاول من نوعه في لبنان ، الذي ستكمل تجهيزاته لاقامة المؤتمرات واللقاءات الدولية والوطنية والحزبية ، الى جانب تكريسه كمجمع للمفكرين اللبنانيين الاصليين والمفكرين العالميين الصادقين ، فيمثل بذلك انطلاقة نحو تطوير حضارتنا وتراثنا ونحو بلورة تاريخنا اللبناني الاصل . والكلام على مركز التوثيق والبحوث هو جزء من كلام على بيت المستقبل وجريدة الريفاي التي تشكل مجتمعة الصوت الثقافي للاتجاه اللبناني الواعي .

والى جانب هذا التوجه نحو انشاء قواعد للفكر والثقافة ، كان التوجه الى انشاء قاعدة اجتماعية واقتصادية تضم تعاونية استهلاكية ومحترف وعيادة طب اسنان ومستوصف ، وقد اطلق عليها اسم : مركز موريس الجميل الاجتماعي . وقد كان للتعاونية الاستهلاكية مساهمتها في تقييد اسعار التجار والمؤسسات التجارية ببيع السلع بسعر قريب جدا من سعر الكلفة ، كما أسهم « المحترف » في تنمية الأشغال اليدوية ، وهو اليوم يعرض أبرز النتاج الحرفي واليدوي الذي تمتاز به القرى المتنية بصورة خاصة واللبنانية بصورة عامة ،ويدعمه « مشغل الاعمال الحرفية » الذي افتتحه الشيخ أمين الجميل بتاريخ ١٤ آذار ١٩٧٨ .

كما كان التوجه الى انشاء قاعدة صحية تعرف بـ « المستوصف المركزي » ويضم مستوصفات عديدة تتوزع في جميع انحاء المتن الشمالي تؤمن الدواء والعلاج .

كما كان التوجه الى انشاء قاعدة اجتماعية ـ انمائية تتجسد من خلال الهيئات الشعبية ، واتحاد بلديات المتن ، هيئة انماء ساحل المتن ، وتضامن المجتمع ، لتسهم الى جانب الادارات الرسمية والاجهزة الخاصة في ترسيخ البنية الاجتماعية والانمائية والعمرانية للمتن ولكل لبنان .

من خلال هذه النظرة الموجزة الى هذا البناء المؤسسي ، والذي يعني بداية الطريق الى بناء لبنان من خلال التنظيم المؤسسي ، يتضح ان البناء قد خرج عن اطار الدعوة ليتحقق واقعا أكيدا .

كما إن هذا البناء ليس سوى مدخل الى تحقيق « ذاتية » كل منطقة من خلال تعزيزها وتطويرها .

ومن هنا طرحت « الايمانية » موضوع « الوحدات الاقليمية » لمنع اغتيال المبادرات الذاتية والتعددية الانسانية ولتوطيد ركيزة كل منطقة سواء أكان من الناحية الاقتصادية الأمنية أم الناحية الاجتماعية والثقافية .وهذا يعني« الاتجاه نحو أقلمة ادارية وتنظيمية واسعة ، قادرة على تنمية الخصائص والتنوع وتحويلها الى ثروات وتراث » وبالمقابل وجود « حكم مركزي قوي قادر على استيعاب وتنمية القوى الذاتية لكل منطقة »[٣] .

ولا تتوقف «الايمانية» عند حدود هذا الطرح ، وانما تعمل في هذا الاطار في محاولة لاعادة «تجهيز ارضنا بصورة منسجمة مع تطوّر واقعنا الاجتماعي وعلى اسس علمية متينة»[٤] .

وهذا يفترض ، استكمالا للبناء المؤسسي ، بناء الانسان من اجل تحقيق ذاته ليسهم في بناء لبنان من خلال بناء منطقته . ومن هنا توجّه «ايمانية» امين الجميل الى جعل منطقة المتن إنموذجا لبقية المناطق ، انموذجا لكل لبنان من خلال بناء الانسان ، انموذجا يجد كماله في تكامل المناطق جميعا .

الحواشي

---

١ ـ راجع حاليات عدد شهري تموز ـ آب ١٩٧٧ ، المحاضرة التي القاها الشيخ امين الجميل في الرابية بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ وهي بعنوان الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل.

٢ ـ امين الجميل: العمل السنوي، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٧

٣ ـ محاضرة « الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل » حاليات ، تموز ـ آب ١٩٧٧

٤ ـ المرجع السابق

أمين الجميل
وثورة الذات
أو
طريق التغيير

الفصل الرابع

منهجية النقد الذاتي

« هل يمكن الانتقال الى موقع الحوار دون ممارسة اي محاولة من محاولات هذا النقد ؟[1] .

واضح أن « النقد الذاتي » ، الذي تقول « إيمانية » أمين الجميل بضرورته والذي تدعو إليه ، ليس غاية بحد ذاته ، وإنما هو وسيلة ارتقاء الى ما هو أفضل وأسمى ، إذ « إن الانتقاد العلمي عندما يمارس بصورة منتظمة وعميقة ، ينتقل حتما من مرحلة الانتقاد السلبي الى مرحلة الانتقاد الذاتي فمرحلة الابتكار الفكري السياسي . ذلك ان انتقاد الغير يقودنا حتما الى انتقاد الذات ، وهذا التفاعل بين انتقاد الغير وانتقاد الذات يولد الابتكار الفكري والسياسي . وهذا الابتكار كفيل بحد ذاته بأن يطور ذهنية اليمين السياسي ، ويجعلها مؤهلة لخلق عقيدة تكون بمستوى الفكر السياسي الحديث »[2] .

هذا الكلام يصح أن يوضع في اطار كتاب مفتوح الى « اليمين السياسي في لبنان والعالم » في محاولة « لابتكار عقيدة تكون بستوى العقيدة الماركسية »[3] . ذلك ان النظام الحر (الليبرالي) « يفتقر الى عقيدة فلسفية شاملة منتظمة في نظرية واحدة وموحدة ، فتعطي جوابا لكل المشاكل البشرية ، كما هي الحال في الحضارة الماركسية . ما ينقص اليمين السياسي هو ماركس الفيلسوف ، وهذا ما شعرنا به في المحاولة التي قام بها الرئيس الفرنسي جيسكار دستان في كتابه : الديمقراطية الفرنسية ، وهي محاولة لتنظيم اليمين السياسي ، وبالرغم من أن العالم الحر قد توصل الى أعلى درجات التفوق في جميع المجالات الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية ، فإنه بقي في حالة التخلف في المجال العقائدي والفلسفي »[4] .

« . . . إنني ضد مبدأ الاعتدال الى حد الميوعة . كما إنني ضد التصلّب الذي هو أقرب إلى التشنّج . فالميوعة هي أخت الجبن . والتشنّج هو أخو التهوّر . أما الشجاعة فهي من عالم آخر يختلف عنهما »

امين الجميل

(الحوادث ، ١٥ ايلول ١٩٧٨)

الشعب في مسيرة المستقبل

إذن ، ما هو « نقد الذات » في مفهوم أمين الجميل ؟

إنه نقد يتعدّى اطار الذات الشخصية (الفردية) ليشمل اطار الذات المجتمعية (الجماعية). لذا كان المطلوب في رايه أن ينتكر نهجا جديدا على صعيد الفكر الانساني والسياسي ألا وهو: اشراك المجتمع بمختلف طبقاته في عملية «النقد الذاتي»، ومن هنا قول هذه «الإيمانية»: «نقد الذات من خلال انتقاد عقيدة الغير لن يكون عملا فرديا منعزلا، أو مجرد أبحاث في اطار ندوة مقفلة، بل يكون عملا جماعيا يتسع تدريجيا الى أن يشترك في المناقشات السياسية معظم الطبقات التي يتألف منها المجتمع اللبناني»[٥] .

فالدعوة مفتوحة اذا للجميع بدون استثناء ، دعوة الى « نوع من فحص الضمير والنقد الذاتي ليحدد كل منا مسؤ وليته تجاه ما يواجه لبنان اليوم من مشاكل وقضايا »[٦] .

في هذا الإطار يتحتم أن يكون عند الأطراف جميعها الاستعداد الكامل لـ« النقد الذاتي » ، ولا يكفي مجرد الانتقال الى موقع الحوار ، مع محاولة ممارسة « النقد الذاتي » حتى يأتي هذا الحوار بنّاء ونهائيا . ومن يضمن القيام بـ « المحاولة » ؟

وهنا يتأكد لنا أن « النقد الذاتي » الذي تطرحه « إيمانية » أمين الجميل ، وهو ما لم تطرحه أية جهة سياسية في لبنان ، هو ضرورة أكيدة من أجل اعادة فتح الحوار اللبناني ـ اللبناني ، وكل ما يقال عن امكانية فتح هذا الحوار دون اعتماد « النقد الذاتي » هو كلام يلقى في الهواء .

فعندها لا عداء دائم ولا صداقة دائمة بل وطن دائم يفرض مصلحته الحق . وهذا يعني أن الإيمان العميق والأكيد بأن السيادة اللبنانية هي الغالبة يفرض على كل تحرك أن يكون من نوع ومن مستوى الرهان الكبير لأن أي تحرك يصب أخيرا في عمق هذا الرهان . فإذا كانت الذات اللبنانية أصل الحضور والاستمرار فان الدفاع عن هذه الذات وان تحقيق هذه الذات لا يكونان الا عبر ايجاد دور أصيل للبنان هو حاجة هذا العصر . فدور لبنان هو نفطه .

على كل ذلك ، هل تشكل « إيمانية » أمين الجميل ، في ما تعنيه ، نهجا سياسيا جديدا ولج أجواء السياسة اللبنانية أم أنها مجرد صفة تلازم تحركات امين الجميل السياسية ؟

من الثابت أن هذه « الإيمانية » تعدت أن تكون مجرد صفة، مجرد موقف بالصدفة ، إنها حركة أصيلة استمدت من تاريخ لبنان ومن قاعدة النضال الكتائبي منطلقاتها ووعت بالتفاعل الناضج مع حركة التاريخ والنبض الحضاري العالمي أن

النضال الحقيقي هو فعل بناء الانسان . الإيمانية تعامل مع الجوهر وليس طمس الجوهر من أجل مصطلحات أو مصالح ظرفية وغير لائقة . الإيمانية غير الحدس وان لم تتنكر له . انها نظام رؤية متكامل ومترابط عضويا لا تعترف بفروقات عرقية او عنصرية بين الشعوب . بل تعتبر بعناد ثابت أنه من خير الانسانية اقامة الحوار الحضاري بين الخصوصيات المتعددة لأن ذلك وحده كفيل بدفع التقدم الانساني دفعا لائقا وهذا يعني :

- الاقرار الواعي بخصوصيات كل جماعة كمنطلق أساسي لتفجير أي حضور
- الاقرار العميق بضرورة التكامل الانساني عبر التفاعل الحي الخلاق بين خصوصيات الحضارات المتعددة .

فكيف تتحدد منطلقات هذه الإيمانية وأسس تحركها . هنا قد يكون من الأجدى أن نقف عند خطوط السياسة اللبنانية التي لم تتغير منذ الاستقلال حتى الآن .

إن عمل أمين الجميل لا يتوقف عند حدود وحقوق طائفته وإنما يرتقي إلى حدود وحقوق المواطن اللبناني إلى أية فئة انتمى وإلى حدود وحقوق الوطن بأرضه وشعبه ، كل أرضه وكل شعبه .

لو كان من نفس طينة أكثرية السياسيين في لبنان ، لما حافظ على التعايش المسلم ـ المسيحي في منطقته ، متحديا انفعالات ظرفية كانت بعض صور « حرب السنتين » تحمل في طيّاتها الفتنة الطائفية الحمراء . وقد أعلن ذلك صراحة : « نحن ضد التهجير الطائفي وضد الفئات المستوردة للتخريب »[٧] .

كما أعلن ذلك ردا على الامام موسى الصدر : « إن ما ورد على لسانه في ما يتعلق بأهالي المتن الشمالي هو في غير محله على الاطلاق ، وإن الأقليات الشيعية في المتن الشمالي تعامل معاملة تختلف تماما عن المعاملة التي تلقاها الأقليات المسيحية في بقية المناطق »[٨] ، وأكد له أنه سيقاوم « كل محاولة تهجير في المنطقة أو كل محاولة للتصنيف الفئوي في المنطقة»[٩] ، ودعاه كي يكون «موضوعيا في تصريحاته وأن يبقى بيننا الحوار الايجابي لما نكنه له من مودة وتقدير واحترام، وكي لا ينساق في المعلومات المغرضة الكاذبة التي تصله من المقرّبين المغرضين»[١٠] .

ومن ناحية ثانية لا تعتبر « إيمانية » أمين الجميل العمل السياسي غاية بحد ذاته والا لما استمرت ولما رأت الوجود ، اذ ان ما فيها من الزخم والعطاء كاف لانشاء مجتمع سياسي حقيقي يترّفع عن المصالح الخاصة والفئوية .

فهذه « الإيمانية » ترى أن هناك رهانا وحيدا لبناء المستقبل ألا وهو : « أما ان نتطور وإما أن نموت . قدر لبنان أن يكون في سباق مستمر بين الموت والتطور . فالدول الكبيرة يمكنها أن تتأخر لحظة او تتوقف عن التطوّر لحظات . لكن الدول الصغيرة كلبنان لا يمكنها أن تتقدّم دائما او تموت فوراً »[١١] . (سنأتي فيما بعد على اهتمامات الشيخ امين الجميل الاقتصادية والانمائية والثقافية والاجتماعية . .) .

وإذا كانت هذه « الايمانية » تعتبر أن العمل السياسي غاية بحد ذاته ، فهي غير جديرة بالوجود ، لأن أي عمل سياسي لا يعدّ وسيلة من أجل نشدان الأفضل هو عمل عقيم ويبقى في اطار « المعمعة » السياسية التي عاشها ويعيشها لبنان اليوم .

ولا نعتقد أن هذه « الإيمانية » تتوقف عن اعتماد العمل السياسي كوسيلة مبدئية وخيرة ما دام في حسها أن « تعبئة الرأي العام اللبناني من أجل انشاء دولة حديثة كفيل بحد ذاته بتحويل الفرد اللبناني الى مواطن لبناني وتحويل بيئتنا البشرية الى مجتمع سياسي حقيقي »[١٢] .

ومن هنا يجب أن نعطي للعمل السياسي مفهومه الصحيح .

يقول الدكتور بشير العريضي : « العمل السياسي ، وخلافا للرأي السائد وخاصة في مجتمعنا ، هو العمل في سبيل المجتمع . وكل ما يخرج عن هذه الحقيقة ليس عملا سياسيا بل انحرافا في العمل السياسي »[١٣] .

إن كل ما يحمله هذا التعريف للعمل السياسي ، وهو من جملة التعاريف الكثيرة التي قال بها مفكرو السياسة عبر العصور ، والذي يقف وراءه عامل نفساني بالدرجة الأولى كون لبنان بحاجة أكيدة الى من يمارس عمله السياسي ممارسة صحيحة تخدم المجتمع والوطن ، لا يمكن أن لا يلقى تجاوبا مع «إيمانية» أمين الجميل التي تعتبر العمل السياسي وسيلة لتحقيق «مجتمع سياسي حقيقي». وفي اطار هذا التعريف يجب أن ننظر الى عمل أمين الجميل السياسي: «ثورتنا تبدأ عند انتهاء الثورة المسلحة. ثورتنا هي ثورة بناء لبنان الغد. ثورة على التخاذل. التخاذل الداخلي. التخاذل الذي لمسناه في الادارات والمؤسسات، وحتى في المدارس هي ثورتنا. واذا كان عهد التخاذل واللامسؤ ولية سيعود، فان ثورتنا ستبقى مستمرة»[١٤] .

وبذلك تعرّف « إيمانية» أمين الجميل العمل السياسي بأنه العمل في سبيل خلق « مجتمع سياسي حقيقي » . لذا فهي ترى « ان المجموعات البشرية لا تتحوّل الى مجتمع سياسي حقيقي إلاّ اذا ارتفعت الى ما هو فوق المصالح ، الخاصة بالوحدات العائلية والدينية والاقتصادية والطبقية، وافرزت مؤسسة عليا تصون المصلحة العامة، اي

مصلحة جميع المواطنين بصرف النظر عن انتمائهم الى سائر الوحدات العائلية والطائفية والاقتصادية »[١٥] .

كيف تنظر هذه « الإيمانية » إلى مجتمعنا السياسي الحاضر لتخلق منه مجتمعا سياسيا حقيقيا ؟

« التحدي الأكبر الذي ما زلنا نجابهه منذ الاستقلال حتى يومنا هذا يكمن في التفاوت الجوهري بين الحماس الوطني والفتور المدني . فبقدر ما يحرّك الشعور الوطني النفسية اللبنانية في أعماقها ، ويدفع اللبنانيين الى بذل أقصى التضحيات والى البطولات الملحمية الرائعة ، بقدر ما يبقى الشعور المدني متخلفا ، بحيث يصح القول بأن قدرة اللبنانيين على تأسيس الدولة لا توازي قدرتهم على خلق الأوطان .

ويستتبع هذا الوضع امورا خطيرة أهمها أن الحماس الوطني بحد ذاته ، اذا لم يقترن بالشعور المدني الناضج ، يبقى مجرّد انتفاضة عاطفية تصرخ بوجه التاريخ في الظروف الاستثنائية وتسكت وتتلاشى عندما تعود الحياة العادية الى مجراها الطبيعي .

وهناك ظاهرة أخرى من مظاهر هذا الوضع الفريد من نوعه هو أن تخلّف الشعور المدني بالنسبة لنمو الشعور الوطني في لبنان يحول دون بروز مجتمع سياسي بالمعنى الصحيح ، أي مجتمع شامل يلتف بكامل فئاته وعنصرياته وطوائفه حول المصلحة العامة التي تتجسّد بالدولة . . وبديهي أن الدولة هي المؤسسة العليا ورأس الهرم الاجتماعي ، لذلك حدد علماء السياسة الدولة بأنها مؤسسة المؤسسات .

إلاّ ان الشعور المدني المتخلّف لم يسمح بتطوير المجتمع اللبناني وجعله مجتمعا سياسيا حقيقيا ينصهر فيه المواطنون على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم كما إنه حال دون تمكن الدولة من أن تصبح مؤسسة المؤسسات . فبدلا من أن تكون الدولة على رأس الهرم الاجتماعي ، ومؤسسة المؤسسات ، فإنها بقيت مؤسسة كسائر المؤسسات التي يتكوّن منها الجسم الاجتماعي ولربما أضعفها .

فكان من الطبيعي ، والحالة هذه ، أن لا تقوى الدولة اللبنانية ، للأسف ، على المصالح الفئوية التي تتصارع معها . في حين أن الدولة في البلدان الراقية هي الحكم المطلق الذي يحسم الأمور آخرا وأخيرا لأنها تشكل الجامع المشترك بين جميع الفئات .

والحرب التي عشناها جاءت لتعبّر عن هذا الواقع الأليم ، كما أثبتت صحة ما نقوله بشأن التفاوت بين الحماس الوطني والفتور المدني بدليل أن القتال انتهى بغالب وهو الوطن ومغلوب هي الدولة . وبما أننا ربحنا الوطن وخسرنا الدولة يجدر بنا البحث عن الأساليب الملائمة لتأسيس دولة تجسد الوطن وتطوّر مجتمعه . . .[١٦] .

من هنا كانت دعوة « الإيمانية » الى « خلق منطلق وطني جديد كفيل لا بتطوير القطاع الاقتصادي والاجتماعي فحسب ، بل بتطوير ايضا الذهنية السياسية بحد ذاتها والاستفادة من الحماس الوطني الذي حافظ على الوطن ، وتوظيفه بخلق حماس مدني الذي يخلق دولة »[١٧] .

تنطلق هذه الإيمانية من الاقتناع الثابت بأن المعاناة اللبنانية الأخيرة لا بد إلا أن تكون محاولة لولادة جديدة . إنها انتفاضة . في حسها أن لبنان يقود مغامرة شرعية جديدة ، مغامرة دور شرعي أكثر ريادة يجعل من المستحيل ممكنا ويقود الانسان الى جوهر الانسان حيث كل البشر يتلاقون . أي لم يعد ثمة خيار في أن لا يولد لبنان لأنه لا ينتصر لبنان حين يربح طرف ما يخسره الآخر . لذلك بات من المطلوب تغيير جذري يطال ذهنية العقود الثلاثة المنصرمة . المطلوب رؤية جديدة ومنهجية جديدة يكون فيهما الانسان في لبنان ، المحور والغاية . وعليه فكل تحرك أو أي موقف ينطلق في الأساس من :

ـ رهان كبير يرسم هوية لبنان ودوره على جميع الأصعدة

ـ صفاء النفس الواثقة بقناعاتها وقدراتها ومهماتها

ـ الثقة بالآخر

من هنا لم يكن أمين الجميل يعاني أية عقدة أمام أي فريق ، لأن الكتائب في الأساس نداء مخلص ومنفتح دائما لبناء متجدد للبنان ،لأن الثورة الحقيقية كما أثبت غير مرة هي « ثورة بناء لبنان الغد » . من هنا أيضا كان لا بد من التفريق بين البطولة والانتحار ، اذ ليست الرجولة فورة بل ثورة رهان لا يخطىء . فمنذ اندلاع المؤامرة ضد لبنان وامين الجميل يؤكد بأن الحل الصالح للمشاكل اللبنانية هو البناء المشترك الواعي القائم على :

ـ اللقاء الاستراتيجي بين المسلمين والمسيحيين ليثبتوا أن الانسان جدير بالحياة على هذا الكوكب مهما تعددت الفروقات الحقيقية أو تفاقمت الاختلافات المفتعلة : فالجوهر يقتضي التفاعل مع الاخر لأنه آخر . بينما في شيم الحيوان أن يعيش في فصائل متجانسة .

ـ التحالف الاستراتيجي بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية لأن لبنان الوطن يسلم بمقدار ما يجد الفلسطينيون وطنهم الأصلي .

لهذا ، فإن « إيمانية » أمين الجميل ، انطلاقا من مفهومها للعمل السياسي ، تجد

نفسها مضطرة الى طرح حلول لمسائل عديدة من أجل بناء المستقبل ، وبما أن طرح الحلول على بساط البحث وإطالة النقاش حولها ، وخاصة ان هذا الوضع هو من عادة السياسيين في لبنان ، فإن هذه « الإيمانية » لا تتوقف عند حدود الزمان والمكان ، وإنما تتخذ من انفتاحيتها وايجابيتها منطلقا للتكيّف مع الأوضاع الجديدة المستحدثة من أجل مواكبة التقدم والتطور ، لأن الانغلاق والسلبية يؤديان الى انكماشها وتلاشيها ، بما يعني تقوقعها في الاطار نفسه الذي ولدت فيه .

ومن هنا يأتي تأكيدها بأنها نهج سياسي جديد ولج اجواء السياسة اللبنانية ولكن من خلال مفهومها لممارسة العمل السياسي .

أما لجهة تحديد هذه « الإيمانية » وإبراز منطلقاتها وأسسها الجوهرية ، فاننا نترك اولا للقارىء أن يقيّمها وللفصول القادمة ثانيا أن توضحها وتبرز منطلقاتها وأسسها.

الحواشي

١ ـ نشر الحديث في الصحيفة نفسها الصادرة بتاريخ ١ كانون الاول ١٩٧٨

٢ ـ راجع حاليات ، عدد شهري تموز ـ آب ١٩٧٧ ، ص ٥٩ المحاضرة التي ألقاها الشيخ أمين الجميل في الرابية بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ وهي بعنوان : الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل

٣ ـ المرجع السابق، ص ٥٩

٤ ـ المرجع نفسه

٥ ـ المرجع نفسه، ص ٦٠

٦ ـ راجع «العمل» ١٥ آب ١٩٧٦

٧ ـ راجع «العمل» ٢١ كانون الأول ١٩٧٥

٨ ـ راجع «النهار» ٢٤ كانون الاول ١٩٧٥

٩ ـ راجع «العمل» ٢٤ كانون الاول ١٩٧٥

١٠ ـ المرجع السابق

١١ ـ راجع «حاليات»، عدد شهري تموز ـ آب ١٩٧٧ ص ٦٠، محاضرة الشيخ امين الجميل التي القاها في الرابية بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ ، وهي بعنوان: الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل.

١٢ ـ المرجع السابق، ص ٥٤

١٣ ـ راجع محاضرات الندوة، النشرة ٤ ـ ٥، ١٩٦٥، ص ٥٤، محاضرة بعنوان «لبنان السياسي»

١٤ ـ راجع «العمل» ٦ تشرين الثاني ١٩٧٦

١٥ ـ راجع «حاليات» عدد شهري تموز ـ آب ١٩٧٧ ، ص ٥٤، محاضرة الشيخ أمين الجميل التي ألقاها في الرابية بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ ، وهي بعنوان: الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل.

١٦ ـ المرجع السابق، ص ٥٣ و٥٤

١٧ ـ المرجع نفسه ، ص ٥٩

فهذه « الإيمانية » ترى أن هناك رهانا وحيدا لبناء المستقبل ألا وهو : « أما ان نتطور وإما أن نموت . قدر لبنان أن يكون في سباق مستمر بين الموت والتطور . فالدول الكبيرة يمكنها أن تتأخر لحظة او تتوقف عن التطوّر لحظات . لكن الدول الصغيرة كلبنان لا يمكنها أن تتقدّم دائما او تموت فوراً »[١١] . (سنأتي فيما بعد على اهتمامات الشيخ امين الجميل الاقتصادية والانمائية والثقافية والاجتماعية . .) .

وإذا كانت هذه « الايمانية » تعتبر أن العمل السياسي غاية بحد ذاته ، فهي غير جديرة بالوجود ، لأن أي عمل سياسي لا يعدّ وسيلة من أجل نشدان الأفضل هو عمل عقيم ويبقى في اطار « المعمعة » السياسية التي عاشها ويعيشها لبنان اليوم .

ولا نعتقد أن هذه « الإيمانية » تتوقف عن اعتماد العمل السياسي كوسيلة مبدئية وخيرة ما دام في حسها أن « تعبئة الرأي العام اللبناني من أجل انشاء دولة حديثة كفيل بحد ذاته بتحويل الفرد اللبناني الى مواطن لبناني وتحويل بيئتنا البشرية الى مجتمع سياسي حقيقي »[١٢] .

ومن هنا يجب أن نعطي للعمل السياسي مفهومه الصحيح .

يقول الدكتور بشير العريضي : « العمل السياسي ، وخلافا للرأي السائد وخاصة في مجتمعنا ، هو العمل في سبيل المجتمع . وكل ما يخرج عن هذه الحقيقة ليس عملا سياسيا بل انحرافا في العمل السياسي »[١٣] .

إن كل ما يحمله هذا التعريف للعمل السياسي ، وهو من جملة التعاريف الكثيرة التي قال بها مفكرو السياسة عبر العصور ، والذي يقف وراءه عامل نفساني بالدرجة الأولى كون لبنان بحاجة أكيدة الى من يمارس عمله السياسي ممارسة صحيحة تخدم المجتمع والوطن ، لا يمكن أن لا يلقى تجاوبا مع «إيمانية» أمين الجميل التي تعتبر العمل السياسي وسيلة لتحقيق «مجتمع سياسي حقيقي». وفي اطار هذا التعريف يجب أن ننظر الى عمل أمين الجميل السياسي: «ثورتنا تبدأ عند انتهاء الثورة المسلحة. ثورتنا هي ثورة بناء لبنان الغد. ثورة على التخاذل. التخاذل الداخلي. التخاذل الذي لمسناه في الادارات والمؤسسات، وحتى في المدارس هي ثورتنا. واذا كان عهد التخاذل واللامسؤ ولية سيعود، فان ثورتنا ستبقى مستمرة»[١٤] .

وبذلك تعرّف « إيمانية» أمين الجميل العمل السياسي بأنه العمل في سبيل خلق « مجتمع سياسي حقيقي » . لذا فهي ترى « ان المجموعات البشرية لا تتحوّل الى مجتمع سياسي حقيقي إلاّ اذا ارتفعت الى ما هو فوق المصالح ، الخاصة بالوحدات العائلية والدينية والاقتصادية والطبقية، وافرزت مؤسسة عليا تصون المصلحة العامة، اي

مصلحة جميع المواطنين بصرف النظر عن انتمائهم الى سائر الوحدات العائلية والطائفية والاقتصادية »[١٥] .

كيف تنظر هذه « الإيمانية » إلى مجتمعنا السياسي الحاضر لتخلق منه مجتمعا سياسيا حقيقيا ؟

« التحدي الأكبر الذي ما زلنا نجابهه منذ الاستقلال حتى يومنا هذا يكمن في التفاوت الجوهري بين الحماس الوطني والفتور المدني . فبقدر ما يحرّك الشعور الوطني النفسية اللبنانية في أعماقها ، ويدفع اللبنانيين الى بذل أقصى التضحيات والى البطولات الملحمية الرائعة ، بقدر ما يبقى الشعور المدني متخلفا ، بحيث يصح القول بأن قدرة اللبنانيين على تأسيس الدولة لا توازي قدرتهم على خلق الأوطان .

ويستتبع هذا الوضع امورا خطيرة أهمها أن الحماس الوطني بحد ذاته ، اذا لم يقترن بالشعور المدني الناضج ، يبقى مجرّد انتفاضة عاطفية تصرخ بوجه التاريخ في الظروف الاستثنائية وتسكت وتتلاشى عندما تعود الحياة العادية الى مجراها الطبيعي .

وهناك ظاهرة أخرى من مظاهر هذا الوضع الفريد من نوعه هو أن تخلّف الشعور المدني بالنسبة لنمو الشعور الوطني في لبنان يحول دون بروز مجتمع سياسي بالمعنى الصحيح ، أي مجتمع شامل يلتف بكامل فئاته وعنصرياته وطوائفه حول المصلحة العامة التي تتجسّد بالدولة . . وبديهي أن الدولة هي المؤسسة العليا ورأس الهرم الاجتماعي ، لذلك حدد علماء السياسة الدولة بأنها مؤسسة المؤسسات .

إلاّ ان الشعور المدني المتخلّف لم يسمح بتطوير المجتمع اللبناني وجعله مجتمعا سياسيا حقيقيا ينصهر فيه المواطنون على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم كما إنه حال دون تمكن الدولة من أن تصبح مؤسسة المؤسسات . فبدلا من أن تكون الدولة على رأس الهرم الاجتماعي ، ومؤسسة المؤسسات ، فإنها بقيت مؤسسة كسائر المؤسسات التي يتكوّن منها الجسم الاجتماعي ولربما أضعفها .

فكان من الطبيعي ، والحالة هذه ، أن لا تقوى الدولة اللبنانية ، للأسف ، على المصالح الفئوية التي تتصارع معها . في حين أن الدولة في البلدان الراقية هي الحكم المطلق الذي يحسم الأمور آخرا وأخيرا لأنها تشكل الجامع المشترك بين جميع الفئات .

والحرب التي عشناها جاءت لتعبّر عن هذا الواقع الأليم ، كما أثبتت صحة ما نقوله بشأن التفاوت بين الحماس الوطني والفتور المدني بدليل أن القتال انتهى بغالب وهو الوطن ومغلوب هي الدولة . وبما أننا ربحنا الوطن وخسرنا الدولة يجدر بنا البحث عن الأساليب الملائمة لتأسيس دولة تجسد الوطن وتطوّر مجتمعه . . .[١٦] .

من هنا كانت دعوة « الإيمانية » الى « خلق منطلق وطني جديد كفيل لا بتطوير القطاع الاقتصادي والاجتماعي فحسب ، بل بتطوير ايضا الذهنية السياسية بحد ذاتها والاستفادة من الحماس الوطني الذي حافظ على الوطن ، وتوظيفه بخلق حماس مدني الذي يخلق دولة »[١٧] .

تنطلق هذه الإيمانية من الاقتناع الثابت بأن المعاناة اللبنانية الأخيرة لا بد إلا أن تكون محاولة لولادة جديدة . إنها انتفاضة . في حسها أن لبنان يقود مغامرة شرعية جديدة ، مغامرة دور شرعي أكثر ريادة يجعل من المستحيل ممكنا ويقود الانسان الى جوهر الانسان حيث كل البشر يتلاقون . أي لم يعد ثمة خيار في أن لا يولد لبنان لأنه لا ينتصر لبنان حين يربح طرف ما يخسره الآخر . لذلك بات من المطلوب تغيير جذري يطال ذهنية العقود الثلاثة المنصرمة . المطلوب رؤية جديدة ومنهجية جديدة يكون فيهما الانسان في لبنان ، المحور والغاية . وعليه فكل تحرك أو أي موقف ينطلق في الأساس من :

ـ رهان كبير يرسم هوية لبنان ودوره على جميع الأصعدة

ـ صفاء النفس الواثقة بقناعاتها وقدراتها ومهماتها

ـ الثقة بالآخر

من هنا لم يكن أمين الجميل يعاني أية عقدة أمام أي فريق ، لأن الكتائب في الأساس نداء مخلص ومنفتح دائما لبناء متجدد للبنان ،لأن الثورة الحقيقية كما أثبت غير مرة هي « ثورة بناء لبنان الغد » . من هنا أيضا كان لا بد من التفريق بين البطولة والانتحار ، اذ ليست الرجولة فورة بل ثورة رهان لا يخطىء . فمنذ اندلاع المؤامرة ضد لبنان وامين الجميل يؤكد بأن الحل الصالح للمشاكل اللبنانية هو البناء المشترك الواعي القائم على :

ـ اللقاء الاستراتيجي بين المسلمين والمسيحيين ليثبتوا أن الانسان جدير بالحياة على هذا الكوكب مهما تعددت الفروقات الحقيقية أو تفاقمت الاختلافات المفتعلة : فالجوهر يقتضي التفاعل مع الاخر لأنه آخر . بينما في شيم الحيوان أن يعيش في فصائل متجانسة .

ـ التحالف الاستراتيجي بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية لأن لبنان الوطن يسلم بمقدار ما يجد الفلسطينيون وطنهم الأصلي .

لهذا ، فإن « إيمانية » أمين الجميل ، انطلاقا من مفهومها للعمل السياسي ، تجد

نفسها مضطرة الى طرح حلول لمسائل عديدة من أجل بناء المستقبل ، وبما أن طرح الحلول على بساط البحث وإطالة النقاش حولها ، وخاصة ان هذا الوضع هو من عادة السياسيين في لبنان ، فإن هذه « الإيمانية » لا تتوقف عند حدود الزمان والمكان ، وإنما تتخذ من انفتاحيتها وايجابيتها منطلقا للتكيّف مع الأوضاع الجديدة المستحدثة من أجل مواكبة التقدم والتطور ، لأن الانغلاق والسلبية يؤديان الى انكماشها وتلاشيها ، بما يعني تقوقعها في الاطار نفسه الذي ولدت فيه .

ومن هنا يأتي تأكيدها بأنها نهج سياسي جديد ولج اجواء السياسة اللبنانية ولكن من خلال مفهومها لممارسة العمل السياسي .

أما لجهة تحديد هذه « الإيمانية » وإبراز منطلقاتها وأسسها الجوهرية ، فاننا نترك اولا للقارىء أن يقيّمها وللفصول القادمة ثانيا أن توضحها وتبرز منطلقاتها وأسسها.

الحواشي

١ ـ نشر الحديث في الصحيفة نفسها الصادرة بتاريخ ١ كانون الاول ١٩٧٨

٢ ـ راجع حاليات ، عدد شهري تموز ـ آب ١٩٧٧ ، ص ٥٩ المحاضرة التي ألقاها الشيخ أمين الجميل في الرابية بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ وهي بعنوان : الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل

٣ ـ المرجع السابق، ص ٥٩

٤ ـ المرجع نفسه

٥ ـ المرجع نفسه، ص ٦٠

٦ ـ راجع «العمل» ١٥ آب ١٩٧٦

٧ ـ راجع «العمل» ٢١ كانون الأول ١٩٧٥

٨ ـ راجع «النهار» ٢٤ كانون الاول ١٩٧٥

٩ ـ راجع «العمل» ٢٤ كانون الاول ١٩٧٥

١٠ ـ المرجع السابق

١١ ـ راجع «حاليات»، عدد شهري تموز ـ آب ١٩٧٧ ص ٦٠، محاضرة الشيخ امين الجميل التي القاها في الرابية بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ ، وهي بعنوان: الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل.

١٢ ـ المرجع السابق، ص ٥٤

١٣ ـ راجع محاضرات الندوة، النشرة ٤ ـ ٥، ١٩٦٥، ص ٥٤، محاضرة بعنوان «لبنان السياسي»

١٤ ـ راجع «العمل» ٦ تشرين الثاني ١٩٧٦

١٥ ـ راجع «حاليات» عدد شهري تموز ـ آب ١٩٧٧ ، ص ٥٤، محاضرة الشيخ أمين الجميل التي ألقاها في الرابية بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٧٧ ، وهي بعنوان: الانتفاضة اللبنانية وبناء لبنان المستقبل.

١٦ ـ المرجع السابق، ص ٥٣ و٥٤

١٧ ـ المرجع نفسه ، ص ٥٩

الوفاق او الحوار اللبناني ـ اللبناني

ان الخروج من واقع « تتهادن » فيه طوائف لبنان الست عشرة يطرح ايجاد صيغة جديدة ، بديلة لميثاق ١٩٤٣ ، صيغة « تعايش مشترك » بين المسلمين والمسيحيين ، وتكون الرغبة في اطلاق هذا التعايش من جديد مقدمة للبحث في جوهرها ومنطلقاتها الاساسية . وهذا ما يفترض وجود حوار لبناني ـ لبناني يهدف الى تثبيت « الجوامع المشتركة » ، اذ ان انقاذ لبنان يمرّ عبر قنوات « المصير المشترك » و « المصالح المشتركة » حيث يتداخل مصير أو مصلحة المسيحيين بمصير أو مصلحة المسلمين .

لماذا الرغبة في التعايش هي أساس كل حوار لبناني ـ لبناني ؟ ان عدم وجود هذه الرغبة مع وجود حوار لبناني ـ لبناني يعني :

اولا : دخول جميع الاطراف « المتحاورة » في سياسة « التكاذب المشترك »

ثانيا : دخول جميع الاطراف « المتداعية » في سياسة « التكالب على المكاسب »

لهذا كانت الرغبة في التعايش هي الاساس في كل حوار لبناني ـ لبناني يؤدي الى كسر طوق « السلبيات » وإحلال «الايجابيات» محلها.

وفي هذا الاطار ، جاء تحرك الشيخ امين الجميل مستندا الى قناعات ذاتية تعتبر الوفاق او الحوار اللبناني ـ اللبناني وسيلة لحل معظم المشاكل التي تعترض انطلاق لبنان من جديد لتأدية رسالته الكونية والحضارية

القناعة الاولى

ان تداخل مصير المسيحيين بمصير المسلمين يفترض ايجاد « الجوامع المشتركة » التي تؤول الى احياء « التماسك الوطني » ، وبدون وعي المسيحيين والمسلمين لمصيرهم المشترك يبقى الوطن مفتتا ومجزءا ولا سبيل الى اعادة بنائه من جديد[١] .

القناعة الثانية

ان الواقع التقسيمي الذي فرضته الاحداث ، اي التقسيم الجغرافي والنفسي والشعوري ، يجب ازالته واعتباره مرحلة من مراحل المعاناة التي مرّ ويمر بها لبنان قبل اعتباره واقعاً أكيداً يعزز فكرة القائلين بأن لبنان ليس سوى « كائن اصطناعي » مؤقت البقاء وغير قابل وغير مستقر التوازن[٢] .

القناعة الثالثة

ان ابقاء الشعب والارض في اطار اجواء المعاناة وعدم الطمأنينة يعني الابقاء على اجواء الارهاب النفسي ، وهذا ما لا يسمح للشعب اللبناني بأن يتطوّر ثقافياً وانمائياً وامنياً مما يبعده عن الاستقرار والازدهار الوطني وعن استعادة ثقله الوطني وكلمته المسموعة[٣] .

القناعة الرابعة

ان تردّي الاوضاع وتفاقمها واقترابها في كل مرة من حدود الانفجار ، هذا اذا لم يقع ، كفيل باستمرار الشحن والتوتر النفسي بما يفلت الغرائز والاحقاد والانفعالات ليحلّ العنف مكان العقل والمنطق ، وفي هذا اغلاق لباب الحوار بسبب طغيان صوت المدافع على صوت الكلمة[٤] .

القناعة الخامسة

ان التشنجات والمزايدات والاحكام المسبقة لا تؤدي الا الى اغراق الشعب في « معمعة » سياسية تنال منه ومن المصلحة اللبنانية بما يعني عدم تحمل المسؤ وليات الوطنية الداعية الى انهاء « المأساة اللبنانية » ، وفي هذا تواطؤ على مصير الشعب ومصير الارض والوطن[٥] .

القناعة السادسة

ان عدم تحرّر الطاقات الموجودة في المناطق الاسلامية ورزحانها تحت الضغوطات والوصايات الخارجية ، يعني استمرارية « الدوامة » واستمرارية « الغربة » التي تفرضها عناصر خارجية غريبة عن المجتمع اللبناني . وفي هذا ، الابقاء على الاسلوب المعتمد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ويرمي الى « تفكيك لبنان سياسيا واجتماعيا والى افقاره افقاراً مزمناً بتفكيكه اقتصادياً منعا له من اعادة تنظيمه »[٦] ، وقد دعا الشيخ موريس الجميل هذا الاسلوب ذات يوم بـ « الجهاز الجهنّمي » .

القناعة السابعة

ان تحقيق وحدة لبنان ارضا وشعبا انما هي أمنية كتائبية وتستحق المحاولة ، وعدم

تحقيقها يعني المسير نحو المجهول ونحو تقويض لبنان حضاريا واقتصاديا وعمرانياً[٧] ، وفي هذا مصلحة اعداء لبنان واعداء شعبه في انتزاع دوره الطبيعي والطليعي في الشرق الاوسط وفي العالم اذ :

ـ في ضرب المسيحيين بالمسلمين في لبنان ضرب لعلاقات لبنان بالشرق العربي

ـ في ضرب المسيحيين بالمسلمين في لبنان ضرب لتجربة الحوار العالمي الباحث عن جوهر حضاري انساني موحد وترسيخ للفروقات العنصرية والعرقية أو الطائفية أو العقائدية المتزمتة .

من خلال هذه القناعات الذاتية السبع يتأكد عمق قول الشيخ امين الجميل في حديث الى صحيفة « السفير » : « نحن مستعدون لمد أليد لأي طرف عنده استعداد للحوار ومواقفنا واضحة والمبادىء التي على أساسها ننطلق ، ليس لها اية خلفيات وهي من ضمن المصلحة الوطنية والتعايش وتأمين مصالح كل الأطراف في لبنان بحيث تصبح متكاملة وغير متناقصة . انطلاقاً من هنا ومن دون اي عقد ، نحن مستعدون للحوار مع اي طرف كان ومهما كانت حدة الصراع بيننا وبينه ، وعليه ان يكون مخلصاً وراغباً في الوصول الى حل للقضية اللبنانية وغير قادم لفرض شروط تعجيزية وتضييع الوقت من دون نتائج »[٨] .

وفي حديث الى مجلة « الحوادث » اللبنانية : « المطلوب صيغة متقدمة تأخذ بعين الاعتبار الواقع التقسيمي النفسي في لبنان ، بحيث تعالجه وتعمل على اعادة توحيده بشكل منطقي وليس بالطرق المرتجلة أو المصطنعة ، في كل حال ، ان حزب الكتائب حريص كل الحرص على وحدة الارض والشعب . وانه على استعداد وبدون شروط مسبقة أن يتعاون مع كل الاطراف اللبنانية ، بهدف ايجاد الصيغة الفضلى للبنان الغد . لبنان الحريات المسؤولة ، لبنان الكرامة ، لبنان الازدهار والمساواة بين الجميع » فأمين الجميل يسعى الى لبنان الوطن اكثر مما يسعى الى لبنان ـ قطعة ارض تضم مجموعة طوائف تتهادن وتنتظم فيما بينها بقوانين .

وكذلك في حديثه الى صحيفة « لورور » الفرنسية : « ان قدر اللبنانيين التاريخي والحتمي أن يتفقوا فيما بينهم ، وقد اثبتت سنتان من الحرب ان السلاح لا يحل المشاكل السياسية عندنا مهما بلغت هذه المشاكل اهميتها »[١٠] .

ومن خلال كل ذلك ، تتحدد بعض المعاني الاساسية للتحرك السياسي باتجاه الوفاق وفتح باب الحوار اللبناني ـ اللبناني كلما اغلقته دوّامة العنف : « عندما يطغى صوت المدافع على صوت الكلمة ، فلا يعود بامكان احد ان يسمع الى الحوار ، وبالتالي لا يكون للحوار جدوى . فللحوار شروط وله مقوّمات وله مناخات ، فعندما تتوفر يكون الحوار،وعندما تغيب يغيب معها الحوار عندئذ تفلت غرائز الاحقاد

والانفعالات وتصبح هي التي تقرّر المواقف وليس باستطاعة العقل ان يلجمها او يحوّلها على طريق الخير »[11] .

لهذا اختار الطريق الصعب معتمداً سياسة « الانتصار على خط الغرائز والانفعالات البدائية » وسياسة « الترفع عن صغائر الامور والحساسيات » وذلك لتشديده على ضرورة بلوغ الوفاق « مهما كلفنا من تضحيات وتنازلات شرط ان لا تمس هذه التنازلات البديهيات »[12] .

واختيار الطريق الصعب لم يبق في اطار الكلام والقول ، بل تعداه الى الفعل والعمل من اجل تحقيق الوفاق .

فعدا اللقاءات التي تمت بينه وبين بعض القيادات الاسلامية واليسارية طوال عام ١٩٧٧ وفي مطلع عام ١٩٧٨ ، كانت له ايضا بعض اللقاءات بعد انفجار الموقف بين قوات الجبهة اللبنانية والقوات السورية العاملة في اطار قوات الردع العربية في اوائل تموز ١٩٧٨ . وتكسب هذه اللقاءات اهميتها كونها أتت في وقت كان الكثيرون من السياسيين والمواطنين يعتبرون ان الحوار اللبناني ـ اللبناني قد فارق الى الابد .

اللقاء الاول كان مع السيد هاني سلام بحضور السيد[13] داني شمعون في القصر الجمهوري بتاريخ ١٤ آب ١٩٧٨ . وحسب مصادر صحيفة « النهار » ، فان الاجتماع الثلاثي لم يكن مصادفة ، بل سبقه تحضير ساهمت فيه المراجع العليا من اجل تقريب وجهات النظر بين الفئات اللبنانية وازالة الرواسب التي خلفتها الحوادث الاخيرة . أما الغاية من هذا اللقاء فهو السعي لتحضير لقاءات تؤدي الى استئناف الحوار واستئناف الحياة السياسية الطبيعية في البلاد والغاء الجو العسكري المخيم على الساحة اللبنانية .

لقاء الدوحة

أما اللقاء الثاني فقد تّم في منزل رئيس الوزراء سليم الحص بـ « الدوحة » بتاريخ ٢٥ آب ١٩٧٨ ، بحضور عضو المكتب السياسي في حزب الكتائب النائب ادمون رزق والنائب خاتشيك بابكيان ، وعرف هذا اللقاء بـ « لقاء الدوحة » . وحسب ما أشار اليه النائب رزق ، فان اللقاء جاء تأكيداً على وجهة نظر حزب الكتائب اللبنانية بالنسبة للوفاق : « هناك خط مستمر في سياستنا لا يتوقف عند الاعتبارات الظرفية والمفاهيم الخاصة وانما يتجاوزها الى صميم المصلحة العامة »[14] كما وانه « لا يوجد لدينا اي تحفظ للاتصال مع اي طرف على الاطلاق في نطاق المصلحة العامة ، وأؤكد انه ليس لدينا اي تحفظ على اي فريق على الاطلاق ونحن لا نرفض احداً »[15] .

وحول ما اذا كان اللقاء مع رئيس الوزراء يهدف الى مد جسور جديدة بين « الجبهة اللبنانية » و « السلطة الشرعية » ، قال النائب رزق : « ان الشيخ امين الجميل يتولى حاليا مهمة اساسية داخل حزب الكتائب بصفته رئيسا لهيئة الطوارىء

الكتائبية[١٦] ونحن جميعا يسرنا ان نلتقي دائما الرئيس الحص ، ونعتبر لقاءه مع جميع القيادات السياسية اللبنانية امراً طبيعياً بل ضرورياً »[١٧] .

ان امين الجميل يعرف كيف يميز بين حدود الارادة اللبنانية في الداخل وحدود المخططات المتآمرة من كل صوب على ضرب الكيان اللبناني ، لذلك من هنا يأتي تدافعه المستمر في هذا الخط فيقول : « لماذا لا نحاول ، انطلاقاً من مصالحنا المشتركة ، ان نبحث عن صيغة تعايش مرحلية استنادا الى الجوامع المشتركة ونترك للمستقبل ان يقرر ما اذا كانت وحدتنا ممكنة أم لا ؟ فاذا تحققت الوحدة ، وهي أمنية كتائبية ، كان خيراً ، واذا فشلت نكون على الاقل حاولنا »[١٨] .

من هنا ، وفي خضم الحرب الاعلامية الشرسة التي شنت على الكتائب اللبنانية واتهمتها انها حزب طائفي يعمل لانشاء دولة مسيحية على انقاض الصيغة الفريدة ويخطط لتقسيم البلد ، انبرى الشيخ امين الجميل يدافع بصلابة رافضاً بصدق الطائفية باشكالها ومظاهرها البشعة مؤمناً بأن لبنان بلد الانفتاح الديني وهو مؤهل لسلوك سبل الاتصال بكل الجماعات مشدداً على حرية المتقدات مصراً على ضرورة التمتع بالوطنية الصادقة النابعة من الايمان بهذا الوطن بغض النظر عن الطائفة . قال الشيخ امين الجميل :

« لبنان صاحب دور في الشرق الاوسط هو الوفاق الروحي والانساني او وفاق الرخاء .

« لا بد للدول الكبرى او للاطراف المتعاملة مع الشرق العربي ان تقتنع ان الطاقة الاقتصادية او القوة العسكرية لا تقيمان اي استقرار هنا فالشرق اساس حضوره واستقراره « الدور الانساني » .

« ووحدة لبنان قادر على ان يقوم بهذا الدور : فبحكم كونه « خلاصة » هذا الشرق هو كذلك فعل خلاصه ، هو المؤهل طبيعياً ان يركز الانفتاح الديني وان يمد الحوار الانساني بين جوهر الاديان والحضارات التي نشأت في الشرق الاوسط اذ هو يملك انسانياً وجغرافياً وتاريخياً سبل الاتصال بكل الجماعات . ومرحلة التحول السياسي القائمة حالياً تبرز بشكل اوضح الدور اللبناني . فأذا بدأت المنطقة تسجل مرحلة انفتاح فيما بينها عبر مساعي الصلح والسلام بين العرب واسرائيل واذا اتخذ هذا الانفتاح خطوط الحوار الديني : الاسلام ، اليهودية ، المسيحية كما نجد مع الخميني وفي ظاهرة تأييد اليهود لقيام الجمهورية الاسلامية ورعايته ليهود ايران ، ومع الخميني وكبوجي في سعيهما لاقامة مؤتمر مسيحي ـ اسلامي بشأن القدس وكما يتحدد مشروع

السادات لاقامة مسجد وكنيسة وكنيس على جبل في سيناء احتفاء بالسلام الاتي على المنطقة ودعوته لقداسة البابا لتدشينها بحضور شيخ الازهر وبابا الاقباط وكبار حاخامي اسرائيل . . . اذا كان كل ذلك ، فمن الاولى ، ان يتحقق هذا الانفتاح بين اللبنانيين والمسلمين والمسيحيين مقدمة لانفتاح مسلمي ومسيحيي واقليات المنطقة بعضاً على بعض .

« لذلك لم يرق للكثير من الماركسيين خطنا الواضح في تأكيد وحدة لبنان ، بل رمونا بتهم التقسيم تغطية لاعمالهم وتمويهاً لمخططاتهم . ففي مصلحة معظم هؤلاء تمزيق لبنان مقدمة لتمزيق المنطقة ، وهو الشكل الوحيد الذي يمكنهم من ايجاد بؤ ر نفوذ لهم . . .

« من هنا نلاحظ التقاء غريباً لدى بعض القادة والفلاسفة اليهود والماركسيين حول نظرية التفتيت والبعثرة واستغلال التناقضات العرقية والطائفية في هذا الشرق انطلاقاً من شعار « فرّق تسد » ومن هنا ايضاً فلبنان وحده من يمسك بيد الحوار الحضاري بين الاديان من اجل رخاء الانسان واستقرار العالم وهذا يعني انه اذا كان الموارنة في اساس وجود لبنان فلبنان لا يكون أيضاً بغير المسلمين وبالاحرى بغير ولاء المسلمين . واذا كان للجيل الماضي ان يرى دور لبنان في كونه صلة وصل بين الشرق والغرب فأن جيلنا يقدر بحكمة واعية أن استراتيجية لبنان المقبلة هي بالاضافة الى ذلك ، في ان يكون صلة وصل بين الشرق نفسه ، هذا هو في الاساس ، معنى التكامل والشرعية » .

والشيخ امين الجميل رفض في كل الاوقات ان تسمى الحرب اللبنانية حرب الطائفية المجانية واكد انها ترجع في جذورها الاساسية الى صراع الجبارين وآمن دائماً بأن اعادة تقويم الصيغة اللبنانية المرتكزة على التعايش بين الجماعات الروحية ان التعايش بين قيم الله هي الكفيلة بمد سلام اكثر صلابة واقدر على الحياة إنه السلام بين الناس .

فقد اكد أكثر من مرة ان التعايش بين الطوائف الروحية سيبقى امراً ضرورياً لاستمرار لبنان ولكن يجب ان ينتقل هذا التعايش من مرحلة « التجاور » بين الطوائف الى مرحلة التشكل بين الطوائف في بوتقة وطنية فعالة .

الشيخ أمين الجميل والوفاق

لقد رأينا كيف ان الشيخ امين الجميل رفض الطائفية بكل اشكالها البشعة واكد وحدة الشعب اللبناني بجميع فئاته وطوائفه وانسجاماً مع هذه المواقف وانسجاماً مع الذات فقد كان السباق في الدعوة الى الحوار بين الاطراف المتناحرين على الساحة

« لقد تصور البعض في الداخل او في الخارج ، في وقت ما ان بأمكانهم ان يجعلوا المسيحيين بين مهاجر او قتيل ، حتى وصل الامر الى درجة ان احد المبعوثين الاجانب عرض على رئيس الجمهورية السابق سليمان فرنجية ان تقدم دولته ما يكفي من بواخر لاجلاء المسيحيين عن لبنان ، من الغريب ان الشقيرية القاضية بقذف الناس الى البحر قد تحولت الى مذهب عالمي تعتمده حتى الدول الكبرى في سعيها حل مشكلة شعب اخر »[١٩] .

وقد آمن الشيخ امين الجميل ان الوفاق اللبناني مدخل الى حل مشاكلنا ومن دونه نكون شجعنا الوجود الغريب على ارضنا . فلبنان قائم بجناحيه ولا يمكن له ان يحلق إلاّ بهما فقضاياه المصيرية امر يقرره اللبنانيون مجتمعين. فقد جاء في احد احاديثه قوله : ان الوفاق اللبناني ـ اللبناني هو بمثابة البديل للقوات العربية الموجودة على ارضنا ومن دون الوفاق نكون قد شجعنا الوجود الغريب على ارضنا لاجل غير مسمى . وهذا ايضاً كان موقف رئيس الكتائب في شتى المناسبات والخلوات التي عقدها الحزب وكان رئيس الكتائب يركز انذاك على ان لا بديل من القوات الرسمية الشرعية ولا يمكن الشرعية ان تقدم الامن خلال الوفاق اللبناني ـ اللبناني . وكنا نطرح نحن في الكتائب الانطلاق في مسيرة الوفاق للوصول الى القوة الذاتية الرسمية بينما كان البعض الاخر في صفوفنا يشترط اموراً عدة مثل جمع السلاح من الفلسطينيين وغير ذلك للقبول بالانطلاق في مسيرة الوفاق مع علمنا ان الوفاق يمكن ان يكون المدخل الى حل مشاكل كثيرة بينما البعض الاخر يعتبر العكس ، اي ان الامور الاخرى وحتى المستحيلة التنفيذ هو المدخل الى الوفاق اللبناني .

وفي الحديث ذاته يقول : علينا ان نتعاون نحن والشرعية للاسراع في الوفاق الوطني المنشود ايا يكن الثمن ومهما تطلب ذلك من تضحيات .

لقد وصفت الجهات المغرضة الوفاق بأنه نفاق ورفضته او انها وضعت للقبول به شروطاً تعجيزية وهدفها من وراء ذلك الحؤول دون تحقيق هذا الوفاق . لأنها تعلم علم اليقين انها ستضمحل وتزول في حال تحقق الوفاق اللبناني اذ لا يعود لها اي مكان بين المجموعة اللبنانية . فهي اقلية ضئيلة استعانت بقوى خارجية لتنصب نفسها ناطقة باسم احد جناحي لبنان وهو الجناح المسلم وهي بعيدة كل البعد عن الاسلام اذ ان مذهبها الالحاد ومحاربة كل الاديان وخلق الفوضى في كل مكان لتتمكن من البقاء فيما آمن الشيخ امين الجميل بأن الوفاق هو بداية الطريق لعودة الدولة والسير بالبلاد نحو الحل الذي تعطش اليه اللبنانيون كل اللبنانيين ، فهو يقول :

« . . . اذا كانت عودة الدولة هي الطريق فأن اولى الخطوات هي الوفاق . ليس صحيحاً ان الوفاق يعني حتماً النفاق . الوفاق لا يكون نفاقاً الا اذا اردنا ان نتنافق بعضنا

على بعض فلا تنتظر الحل من الخارج وكأنه هدية عيد ميلاد او امنية ليلة قدر . ان كل حل من الخارج يبقى لمصلحة الخارج فأما ان يكون الحل نابعاً من اللبنانيين فيكون لبنانياً . واما ان يكون نابعاً من غير اللبنانيين فيكون على حساب لبنان . فالوفاق ليس اختياراً فحسب ، بل هو قدر قبل ان يكون اختياراً . ونحن قد قررنا ان نختار قدرنا ولو صعباً » .

اذن فأن ايمان الشيخ امين الجميل المطلق بالوفاق اللبناني ـ اللبناني لم يعد يغرب عن بال احد وقد اكده في كل مناسبة وبقوة مصراً على ان لبنان لا يقوم الا بجناحيه المسيحي والمسلم ويرى فيه النموذج الفريد الذي يتطلع اليه العالم كله بأعجاب ودهشة . وهو لا يفرق بين لبناني ولبناني الا بما يظهره هذا او ذاك من ولاء للوطن .

ففي حديث صحفي قال ان الكتائب تؤمن بوحدة الوطن اللبناني . تلك الوحدة التي تعطي لبنان دوراً طليعياً حضارياً وانسانياً وفي المنطقة . ان لبنان النموذج في التعايش الاسلامي ـ المسيحي يأخذ دوراً مميزاً ضمن المجموعة العربية . ولم يتكلم رئيس لبنان عام ١٩٧٢ باسم الدول العربية في المحافل الدولية لبلاغته ولا لأنه يمثل الدولة الاقوى في الدول العربية ، وانما تم اختياره لأنه يمثل هذه الميزة اللبنانية التي يتمسك بها العرب المخلصون .

واضاف الشيخ امين الجميل قائلا : نحن ندعو لحوار اللبنانيين الى اي فئة او طائفة انتموا ، الى هذه الحركة او تلك الجهة شرط ان يتمتعوا بالاصالة اللبنانية وان يكون هدفهم انقاذ لبنان . من هذا المنطلق لا اميز بين حركة وطنية وجبهة لبنانية بل انظر بعين الاخوة الى كل من يعمل انطلاقاً من المفاهيم الروحية الاصيلة التي يرتكز عليها المجتمع اللبناني والتي ترفض الالحاد والدعوات الخارجة على الدعوات السماوية التي هي اساس البنية العربية الاصيلة ذلك اننا ننطلق من هذه الدعوات السماويةونرى فيها وحدها الارضية الصلبة والوحيدة لمجتمعنا اللبناني والعربي والتي منها تنطلق عمليتا الفرز والانقاذ[٢٠] .

ويعي الشيخ امين الجميل مخاطر التشرذم وابعاده لأنه يمكن الطامعين بلبنان من تحقيق اهدافهم وبسط سيطرتهم على مقدرات البلاد تمهيداً لتفتيته واضمحلاله ووقف دوره الفاعل ولذلك آمن بوحدة لبنان ارضاً وشعباً وعمل مخلصاً من اجلها . لأنه يرى فيها خلاص لبنان من محنته .

ففي تعليق على دعوات حول ضرورة توحيد الصف المسيحي قال «اننا نقول لتكن وحدة الصف المسيحي انطلاقة للوحدة اللبنانية الكبرى ، للوحدة اللبنانية الحقيقية التي تترجم على الارض بالانفتاح الحقيقي وبتحطيم كل الحواجز التي تفصل بين الشمال والجبل ـ بين المواطن والدولة ، فنعود صفاً واحداً متماسكاً لأنه لا خلاص الا

بأعادة اللحمة لكل طوائف ومناطق شعب لبنان . نعرف ان هذا ليس بالامر السهل . انما ليس لنا خيار آخر . بل يجب ان يكون هذا خيارنا الوحيد . انني اؤكد لكم انه بعد المعاناة التي تعاني منها المناطق اللبنانية لم يتوحد الشعب اللبناني كما هو موحد اليوم ، ولا خلاص الا من خلال لحمة اللبنانيين وتضامنهم .

« ان الكتائب التي وقفت وحدها عام ١٩٧٦ في وجه محاولات التقسيم تعتبر نفسها اليوم مسؤولة عن توجيه النداء الى اللبنانيين لأنهاء الوضع المأساوي الذي يطال الابرياء من اللبنانيين على كل الارض اللبنانية . لأن الكتائب رهانها على لبنان الواحد ، وعلى الشرعية الواحدة ، وعلى الاستقلال الصلب ، ومهما كانت الاسباب والظروف فلن تتخلى الكتائب عن رهانها ومسؤولياتها .

« اننا نمد ايدينا الى جميع اللبنانيين لكي يعودوا الى العقل ، فثمة معطيات ايجابية كثيرة يمكن توظيفها اليوم لتأمين مستقبل لبناني ثابت »[٢١] .

الحواشي

١ ـ راجع «النهار»، الصادرة بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٨ .

٢ ـ راجع مجلة «الصياد» اللبنانية ، الصادرة بتاريخ ٢٢ ـ ٢٩ كانون الاول ١٩٧٧ .

٣ ـ راجع «الصياد»، الصادرة بتاريخ ٢٢ ـ ٢٩ كانون الاول ١٩٧٧ و«النهار» الصادرة بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٨

٤ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٨ و«الصياد» الصادرة بتاريخ ١٩ ـ ٢٦ تشرين الاول ١٩٧٨

٥ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٧

٦ ـ راجع كتيّب الشيخ موريس الجميل، «كما تكونون يولّ عليكم والناس على دين ملوكهم »، ١٩٥٣ سلسلة «تقويم لبنان ـ تصاميم وبرامج » ص٧

٧ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٨ ، و«الصياد» الصادرة بتاريخ ١٩ ـ ٢٦ تشرين الاول ١٩٧٨

٨ ـ راجع «السفير» الصادرة بتاريخ ١ كانون الاول ١٩٧٨

٩ ـ راجع «الحوادث» الصادرة بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٧٨

١٠ ـ راجع «لورور» الصادرة بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٧٧

١١ ـ راجع «الصياد» الصادرة بتاريخ ١٩ ـ ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٨

١٢ ـ راجع «الحوادث» الصادرة بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٧٨

١٣ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ١٥ آب ١٩٧٨

١٤ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٦ آب ١٩٧٨

١٥ ـ راجع «السفير» الصادرة بتاريخ ٢٦ آب ١٩٧٨

١٦ ـ وهي هيئة انشئت برئاسته بتاريخ ٣ آب ١٩٧٨ ومهمتها ادارة الشؤون السياسية والعسكرية والاعلامية والصحية والمالية ويشرف عليها رئيس الحزب وأمينه العام بالتعاون مع نواب الحزب ورؤساء مجالس المحافظات وسائر الأجهزة الحزبية المعنية

١٧ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٦ آب ١٩٧٨

١٨ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٨

١٩ ـ أمين الجميل: خطاب عيد العمل، ١٩٧٩

٢٠ ـ امين الجميل: حديث أجرته جريدة الجزيرة ١٣ آذار ١٩٨٢

٢١ ـ امين الجميل : لقاء شعبي في قرنة الحمرا ، آذار، ١٩٨٢

الشرعية أو الشرعية المؤسسية

تتخذ المحافظة على « الشرعية المؤسسية » ، وخاصة في لبنان ، حيث تكتسب مظاهرها القانونية من الدستور ، تتخذ بعدا سياسيا يتأكد من خلاله وحدة لبنان أرضا وشعبا . وهذا يعني ان أي تفريط إن على سبيل انتحال البعض « صفة الشرعية » أو إنتهاك البعض « حرمة الشرعية » ، يطرح مسألة الانزلاق نحو « الانارشية الطائفية » أو نحو « الاقطاعية الطائفية » ، وبمعنى أوضح : تمزّق وحدة لبنان وكيانه وتمزق التعددية الحضارية النابعة من تعددية طوائفه ، وبالتالي فقدان دوره الحضارى الذي يؤديه عبر رسالته الكونية .

من هنا يتضح ان الحفاظ والعمل على تكريس وحدة الوطن أرضا وشعبا يؤدي وبطريقة مباشرة إلى دعم « الشرعية المؤسسية » ، والعكس صحيح ، أي ان عدم دعمها يؤدي وبطريقة مباشرة إلى القضاء على وحدة الوطن أرضا وشعبا .

في هذا الاطار ، نفهم دعم الشيخ أمين الجميل لـ « الشرعية المؤسسية » ، والذي يتصل في الأساس بدعم حزب الكتائب اللبنانية لها . وهنا يجب أن لا نخلط بين « الشرعية المؤسسية » و « المؤسسات الشرعية » ، إذ ان الأولى تعني الاطار العام لمجمل المؤسسات المكتسبة دستوريا وقانونيا صفة الشرعية بينما تعني الثانية هذه المؤسسات

ولكن، ما نهتم له هو «السياسة الداخلية والخارجية» التي ترسمها «الشرعية، المؤسسيا»، إذ ان معظم السياسيين والمواطنين ينظرون إلى هذه «الشرعية» كونها الأمل وخلاص لبنان، ومن هنا نطرح السؤال:

ماذا يعني الشيخ أمين الجميل حين يتحدث عن دعم « الشرعية » ، دعم « الشرعية المؤسسية » ؟ وماذا يعني « عمله » لتأمين هذا الدعم ؟

يقول : « اننا مع الشرعية وللشرعية ، لأننا نعتبرها الركن الأساسي في تكوين الوطن وآخر مظهر من مظاهر وحدة البلاد»[1] .

وهذا ما يسوقنا إلى القول ان دعم مركز رئاسة الجمهورية ، الذي يمثل « مؤسسة شرعية » قائمة بحسب الأصول الدستورية والقانونية يختلف تماما وكليا عن دعم رئيس الجمهورية لشخصه . وهنا تطرح العلاقة بين موقف الشيخ أمين الجميل ومركز رئاسة الجمهورية . هذه العلاقة التي تتعدى اطارها القانوني لتصب في « اطارها السياسي » : « مركز رئيس الجمهورية هو محور أساسي في حياتنا الوطنية لأنه همزة الوصل بين جميع الأطراف »[2] .

إن دل هذا القول على شيء ، فهو يدل على ان دعم مركز رئاسة الجمهورية ليس نتيجة كونه مركزا مارونيا وانما لكونه دستوريا وقانونيا وقائما على أسس شرعية ومرتكزات مؤسسية . وأي دعم على غير هذا الأساس يعد دعما طائفيا غير نابع من صميم قناعته الأساسية ولا يتوافق مع مصلحة لبنان .

وكون اعتبار هذا المركز محورا أساسيا في الحياة اللبنانية الوطنية يعني عدم التخلي عنه مهما قست الظروف ومهما تعرض هذا المركز للانتقاد والتجريح : « اننا ننطلق من مبدأ ان الحياة هي عقيدة وجهاد وقوة لبنان كانت دائما في الرئاسة والجيش وما زلنا عند هذا الاعتقاد . من هنا تمسكنا بالشرعية وببقاء الرئيس سركيس وتحمله المسؤولية وقيادته السفينة مهما تطلب ذلك من صبر وتضحية وتحمل السهام من الصديق والعدو »[3] .

لماذا هذا التمسك بالشرعية ؟

إن إعتبار الشرعية « آخر مظهر من مظاهر وحدة البلاد » يعني ان الاتجاه الرئيسي هو الحفاظ على هذا المظهر الأخير كونه الدالة الوحيدة الباقية القادرة على إعادة الوحدة الوطنية الى البلاد ، وخسارتها تعني خسارة وحدة لبنان . هكذا يجب أن نفهم دعم الشيخ أمين الجميل للشرعية ، لأنه بـ « الشرعية » تكمن المحافظة على هذا الوطن أرضا وشعبا والا فماذا تعني « حرب السنتين » التي قامت أساسا دفاعا عن الشرعية ، دفاعا عن البعد السياسي لهذه الشرعية : « الشرعية باقية كما هي ، وسندافع عنها ، بعكس بعض الأطراف المتعارضة مع المصلحة اللبنانية والتي تسعى لايجاد فراغ دستوري في لبنان ينتج عنه فراغ وطني ويصبح هناك فراغ الوطن ككل ، ومأساة جديدة نحن بغنى

عنها . فاذا كنا نساعد الرئيس سركيس فحتى نتساعد جميعا ، نحن والرئيس سركيس ، لايجاد الحلول المستقبلية التي تضمن مستقبل لبنان وكيانه[٤] .

كما وان اعتبار الشرعية « همزة الوصل بين جميع الأطراف » يعني ان دعمها هو في سبيل مصلحة الوطن العليا ، لأنها المعبر الرئيسي والأساسي إلى الطرف الآخر من لبنان . فاذا تخلت الشرعية عن قيامها بدور « همزة الوصل » هذه أو تخلت الأطراف عن دعمها للقيام بهذا الدور ، فالمسؤ ولية تقع على « الشرعية » والأطراف في آن . من هنا ، ولعدم تخلي « الشرعية » عن دورها كـ « همزة وصل » بين مختلف الأطراف ، وبالتالي لعدم الابقاء على التقسيم الجغرافي والنفسي والشعورى الذي يزيد من التمزق الوطني ، كان الدعم لهذه « الشرعية » : « علينا واجب تجاه الشرعية لأنها تمثل شعورا وطنيا وطموحا لبنانيا وخطا لا بديل منه ، وعلينا ان نتعاون نحن والشرعية للاسراع في الوفاق الوطني أيا يكن الثمن ومهما تطلب ذلك من تضحيات »[٥] .

إن هذا الواجب الحالي تجاه « الشرعية » يعود إلى يوم عملت الكتائب ، على إيصال الرئيس سركيس إلى سدة الرئاسة . ويكتسب هذا الواجب أهمية كونه أتى في وقت أضحى فيه التعايش المسلم ـ المسيحي أمرا مستحيلا : « . . . وانطلاقا من إيماننا بوحدة لبنان ، عملت الكتائب من أجل ايصال الرئيس سركيس الى سدة الرئاسة ، لأنها اعتبرت وصوله ضمانة قوية لاعادة توحيد لبنان ، لكونه الرجل المقبول من قبل الأطراف جميعا ، وانه المؤهل ليجمع حوله الأضداد المتحاربة »[٦] .

من هنا نفهم الدعم المميز الذي يقوم به حزب الكتائب اللبنانية والذي يقول به الشيخ أمين الجميل وعند هذا المفترق ، هل يمكن اتهام هذا الحزب بالعمل لتقسيم لبنان بينما هو يعمل عبر « الشرعية » لاعادة اللحمة الوطنية؟ وما خطيئته اذا لم تتحقق هذه اللحمة حتى الآن ما دامت « الشرعية » لم تقل كلمتها في الواقع اللبناني برمته وفي القضية اللبنانية بعد ؟

يقول الشيخ أمين الجميل : « ما ننتظره من الشرعية : حد أدنى من الابداع والخلق واذا صح التعبير من الحلم »[٧] .

ان الوجه الآخر لهذا الدعم كان يتم عبر عرض الحلول التي بامكانها مساعدة « الشرعية » على تخطي بعض الأمور والمواقف الكثيرة التي تزيد في الابتعاد عن النهج السليم : « . . . طلبت قبل عدة أشهر من الرئيس الياس سركيس ان يشهر سلاح الموقف ، وان يعلن صراحة خطة عملية لانقاذ لبنان من الدوامة التي يتخبط فيها . ونوهت بأن خطة الرئيس تشكل جبهة وطنية . فمن إنسجم أو توافقت أهدافه مع هذه

الخطة يكون تلقائيا في عداد المنضوين تحت لواء هذه الجبهة . أما الذي يعترض عليها فيكون معارضا بالطبع . وهكذا يعود لبنان إلى ممارسة اللعبة الديمقراطية المعمول بها في الأنظمة البرلمانية أي انه يكون هناك جبهة تحكم وجبهة تعارض . فمن هذا المنطلق نفهم التعاون السياسي في لبنان حول مبادىء وطنية واضحة وبرنامج عمل يلتزم به المعارض والموالي »[٨] .

ومع ذلك ، يبقى دعم « الشرعية المؤسسية » ودعم مركز رئاسة الجمهورية قائما في هذا السبيل مهما زاد التباعد بين الأطراف ، لأن الموقف لا يمكن أن يتبدل ما دام النظام لم يتبدل ولأن الرؤية لا يمكن ان تتغير ما دامت ترى ما فيه مصلحة لبنان .

وهكذا يمكن ان ترتسم أهمية الشرعية المؤسسية عبر اتجاهين :

- اتجاه أفقي يقوم على تأمين الاتصال بين سائر الفرقاء مهما إشتد التباعد والنفور بين هذه الفرقاء .
- إتجاه عمودي يقوم على تأمين الاستمرارية المتصلة في حضور لبنان السياسي داخليا وعالميا ، ومن هنا تأتي ضرورة ان يكون ثمة نهج متواصل لروح المواقف الأساسية والتاريخية سياسيا واقتصاديا وعمرانيا عبر تتابع العهود مما يمنع التقطع أو التناقض في خط الحضور اللبناني وهذه ظاهرة مشهورة في الدول الراقية والكبرى .

دعم المؤسسات الشرعية

إن الدعم المميز لـ « الشرعية المؤسسية » الذي يقوم به حزب الكتائب اللبنانية ، والذي من خلاله يتم الدعم بطريقة مباشرة لـ « المؤسسات الشرعية » يسوقنا الى الحديث عن العلاقة بين الحكومة والبرلمان والجيش ، أى هذه « المؤسسات الشرعية » وحزب الكتائب اللبنانية .

يقول الشيخ أمين الجميل ؛ « معركتنا معركة مستمرة من خلال المؤسسات ومن خلال البحث مع العناصر المخلصة الخيرة ، وربما جنينا ذلك نوعا آخر من المعارك التي سئمها الشعب اللبناني »[٩] . وهذا يعني ان المحور هو « المؤسسات الشرعية » بكل ما تحمله هذه المؤسسات من معاني الوحدة والتماسك الوطني ، وما توجيه الانتقادات اليها ، من خلال النظام الديمقراطي المعمول به في لبنان ، إلا تأكيدا على وجوبها القيام بدورها الذي يسهم في الابقاء على وحدة لبنان وعلى تماسك شعبه . وهنا يجب عدم الخلط بين الانتقاد لمجرد الانتقاد، والانتقاد من أجل بناء أفضل ومن أجل لبنان أفضل.

ودعم المؤسسات الشرعية دعما مبدئيا ومنهجيا لا يعني الغاء انتقادها وذلك لتوجيهها ضمن اطار الاسهام في إخراج لبنان من محنه المتعددة .

وقد يتجلى هذا الأمر في نظرته الى الحكومة الحالية كونها لا « تعيش هموما وطنية كبيرة » ومع ذلك « قد بدأنا كقيادات سياسية سلسلة لقاءات بحثا عن مخارج واضحة مع الذين لا يقولون قولنا ويملكون حدا أدنى من الاخلاص الوطني ، وربما ساعدت هذه اللقاءات في مساعدة الحكم على حل الأزمة التي نعيشها »[١٠] .

وكونها لا تعيش « الهموم الوطنية » يعني ان الحكومة مستمرة في إعتماد « سياسة النعامة » مما يولد لدى الرأي العام اللبناني انطباعات ربما هي خاطئة وانما كافية لتذيل بشائر اقتراب وضع الحلول للمشاكل المطروحة موضع التنفيذ .

وعند هذا المفترق، لا تزال الاسئلة الثلاثة التي وجهها الشيخ امين الجميل الى الحكومة عقب احداث «الفياضية»، التي وقعت بتاريخ ٧ شباط ١٩٧٨ بين الجيش اللبناني في ثكنة الفياضية وقوات سورية تابعة لقوات الردع العربية، بدون اجابات كلامية او عملية. وهذه الاسئلة هي:

١ ـ ما هو برنامج الحكومة لانشاء أمن قومي وطني لبناني ، وما هو الجدول الزمني الموضوع لذلك ؟

٢ ـ ما هي خطة الحكومة في المرحلة الانتقالية الحالية للتنسيق بين المؤسسات الرسمية اللبنانية والشعب اللبناني من جهة وقوة الردع العربية من جهة أخرى ، تداركا لأية احتكاكات جديدة ؟

٣ ـ ما هي خطة الحكومة لاعادة بناء المؤسسات اللبنانية ، وما هي الأسس التي تريد ان تبني عليها الوفاق ؟[١١] .

وبانتظار الاجابة عن هذه الأسئلة، يبقى الموقف من الحكومة ينتظر القيام بمبادرة ايجابية تعيد الى لبنان انطلاقته الحضارية .

هذا الأمر أدى إلى دعم بيان رؤساء الكتل النيابية وهو ما عرف « بالصيغة النيابية » التي وافق عليها المجلس النيابي بالأكثرية في ٢٤ نيسان ١٩٧٨ ، لأنه اعتبر الوفاق المنطلق من مجلس النواب .

واملا في تحقيق الوفاق اللبناني ـ اللبناني من خلال قيام مجلس النواب بدوره الوطني الصميم كونه يمثل رأيا عاما ، كان الدعم لهذه « الصيغة » التي « وضعت ، برأي الشيخ أمين الجميل ، الأسس الاشتراعية المتينة للأمن اللبناني الذاتي الذي

نسعى اليه جميعا »[12] وقد أثبت هذا الدور ان « تحقيق التفاهم الوطني ليس بمستحيل إذا تأمن له جهد كريم ونكران للذات ورجال قياديون عاملون كمثل الذين تبنوا هذه المبادرة »[13] .

في هذا الاطار ، اعتبر ان البيان « جرىء وجدى تعدّى نطاق المسايرات وانطلق من مفاهيم واضحة سبق ان شوهتها المداخلات الخارجة عن الاطار اللبناني . وبعبارة أوضح ،ليس من أحد ضد حقوق الفلسطينيين وانما لا يقبل أحد أيضا ان يمارس الفلسطينيون ما يعتبرونه حقوقهم على حساب السيادة الوطنية والمصلحة اللبنانية . وقد جاء البيان اليوم يؤكد وحدة الصف بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وفي الوقت ذاته يحدد اطار المساهمة اللبنانية في القضية الفلسطينية على ان لا يكون ذلك على حساب لبنان »[14] .

ومن أجل الابقاء على دور المجلس النيابي حيث يتأمن انطلاق لبنان في خط يحفظ وحدته ويوطد السيادة على كامل أراضيه ، كان اللقاء الذي تم بين الشيخ أمين الجميل ورئيس مجلس النواب السيد كامل الأسعد في ١٥ آب ١٩٧٨ ، أي بعد الأحداث التي وقعت بين القوات السورية العاملة في إطار قوات الردع العربية وقوات الجبهة اللبنانية في أوائل تموز ١٩٧٨ . وقد تناول اللقاء « الأوضاع السياسية والأمنية ودور مجلس النواب ، خصوصا دور الرئيس الأسعد الذي يتحلى بمواقف مشرفة نعتبرها ضمانات ليستعيد لبنان عافيته »[15] .

ان ما يلاحظ من خلال دعم الحكومة ودعم مجلس النواب هو العمل على تحقيق « القوة الأمنية الذاتية » أي بناء الجيش على أسس سلمية تحمي الوطن والمواطن : « نريد جيشا لا ينقسم على ذاته عند أول طلقة رصاص . . . نريد جيشا يلبي نداء الوطن ، معتمدا على الثكنات الاقليمية التي تسهم في تحقيق التنشئة الوطنية والعسكرية ، ومن هذه الثكنات الاقليمية تنطلق فرق حماية الحدود . فينشأ عند ذلك حرس قومي محلي خاص بكل منطقة مؤلف من مجموعات الحرس القومي »[16] .

هذا هو الجيش الذي يريد ، والذي يريد به العمل على الاكتفاء الذاتي بالحماية الذاتية ، إذ ان عدم وجود أو عدم قدرة هذا الجيش على تأمين الطمأنينة للانسان - المواطن اللبناني ، فهذا يعني إن الشعب سيجد نفسه ، مضطرا مرة أخرى ، إلى القيام بحماية نفسه ، بعبارة أخرى ، القيام بالدفاع عن ذاته وعن تراثه : « إننا نطالب ونصر على هذا الا من الوطني الذاتي ، وهي مهمة الحكم في لبنان وعلينا ان نساعده كي يصل إلى هذا الهدف »[17] .

من هنا نرى « التكاملية » في مسؤولية دعم « المؤسسات الشرعية » ، إذ ان

التخلي عن هذا الدعم يعني التخلي عن كل ما يعيد توحيد المسيرة اللبنانية ، وبالتالي يؤدي إلى خلق أجواء « انقسامية » تتعارض تعارضا تاما مع المصلحة الوطنية العليا ومع نهج حزب الكتائب اللبنانية . ولنا في هذا القول خير دليل على ما نشير إليه : « . . . والأمن الوطني الذاتي يقع على عاتق الدولة التي نناشدها أن تخرج عن سياسة الانتظار وعد الوقت ، ندعوها الى التحرك والاقدام ، وعندئذ يمكنها ان تتكل علينا لأن الحكم هو إبداع دائم لايجاد الحلول للمعضلات ، استعصت أم سهلت »[١٨] .

وفي هذا الخط نفسه ، بقي الشيخ أمين الجميل يعمل على ترسيخ هذه المناقبية ، فالمواقف المساندة للدولة وللشرعية التي وقفتها الكتائب خلال تاريخها كثيرة وظاهرة للعيان . فقد قامت أكثر من مرة بما كان يجب على الدولة ان تقوم به وأثبتت الأحداث ان الكتائب لو لم تقم بمسؤ ولياتها لضاعت الشرعية واندحر النظام وما عاد الجيش الى مواقعه .

وليس الدور الكتائبي في سد الثغرة الأساسية التي عانتها البلاد في أثناء الحرب بسبب فراغ الدولة فراغاً مقصوداً من قبل من أراد تعطيل دور لبنان أو إنهاء هذا الوطن عبر ما ارتكبوه من دفع رئاسة الجمهورية الى هجرة مقرها وتعطيل فعاليتها فقام حزب الكتائب يساندها ويحفظها ولم يقصر في أن يقوم ببعض دورها عند الاضطرار .

ليس دور الكتائب عند انهيار الجيش وتعطيل دوره في اضطرار الحزب إلى أن يدافع بشبابه عن هذه المؤسسة وعن كرامة الوطن وسيادته فحسب . . ليس دور الكتائب في تقديم الشهداء على مذبح الوطن حين غابت المواقع المسؤ ولة رسمياً عن ذلك . بل إندفع الحزب فوق ذلك الى ان يقوم مقام جميع الدوائر على مختلف درجاتها لتأمين جميع وظائف الحياة ومختلف الخدمات الفردية والاجتماعية على كل صعيد .

ولكي يكون واضحا أمام الجميع فقد أكدت الكتائب بلسان الشيخ أمين الجميل انها رفضت رغم كل هذه الوقائع ان تأخذ محل الدولة أو ان تساعد الدولة من أجل الانتقاص منها بل ساعدت الكتائب الدولة لحساب الدولة كي تعيد الدولة بناء مؤسساتها على أساس أفضل .

وكان للشيخ أمين الجميل مواقف مشرفة ووطنية في دعم الدولة والشرعية وتقديم العون لها لتعود فتنهض من كبوتها . وفي هذا المجال يقول :

« في كل حال وبعد كل حساب مهما تعقدت وتشعبت تبقى القضية اللبنانية مسؤ ولية اللبنانيين أيضاً . فلن نستقيل من دورنا ولن نهرب من قدرنا .

« وأول واجبات اللبنانيين في هذه المرحلة دعم الشرعية مهما تكن الظروف والمغريات ومهما تكن الصعوبات والتضحيات .

والظرف الأمني ليس اخطر من ظرف انتخاب رئيس الجمهورية حيث خاطرت الجبهة اللبنانية وفي طليعتها حزب الكتائب بكل قادتها وبكل نوابها في سبيل استمرار الشرعية .

ان الشرعية عندنا مفهوم حي وليس مفهوماً جامداً ونحن لسنا من عبدة الأصنام والأشكال . اننا متمسكون بالأسس والمبادىء التي تعنيها الشرعية بقدر ما تعبر عن الاحساس بهم الوطن والالتزام بقضيته والترجمة لأمانيه والدفاع عن كرامته وحريته وسيادته .

الشرعية مع محصلة عطاءات وممارسات من كل واحد منا ومن الدولة واجهزتها أيضاً : فبقدر ما نعطيها يجب أن تعطينا وبقدر ما تقوى بنا يجب ان تقوى للبنان . . وباسم حزب الكتائب أعلن اننا على استعداد من جهتنا للاقبال بكل نية طيبة واستعداد عملي وقلب مفتوح على تنفيذ ما يطلب منا مهما اقتضى ذلك من تضحيات وتسهيلات اعتاد حزبنا ان يقدمها لمصلحة الوطن ولاعادة الدولة .

إن عودة الدولة واقدامها هو الحل لمرض لبنان العضال . فلبنان مصاب بمرض تعدد الدويلات وتعدد السيادات ولا يعالج هذا المرض بالمزيد من الدويلات والسيادات . فنحن نفهم قيام بعض الدويلات هنا أو هناك ولكن ما لا نفهم هو تهديد مصلحة لبنان ووحدة شعبه وأرضه . فمن واجبنا إنهاء بعض الظروف والعوائق لكي نتحرر من اعتبارات فرضت علينا بل هي تخرج عن مفهومنا للوطن وللوطنية[١٩] .

ويعتقد الشيخ أمين الجميل ان الدولة لا تكون دولة الا اذا توفر لها جيش قوي يحميها من الأخطار الداخلية والخارجية ، وأي وجود مسلح على الأرض اللبنانية غير الجيش اللبناني يعتبر عامل تقسيم للبلاد .

وقد ترجم الشيخ أمين القول بالأعمال وله مواقف مشرفة بالنسبة لهذا الموضوع إذ انه كثيراً ما تدخل شخصياً لتذليل عقبات اعترضت تحرك الجيش وهو ما يزال يقول بضرورة انشاء جيش قوي قادر على فرض سلطة الدولة على كل شبر من الأرض اللبنانية . لقد برهنت الكتائب اللبنانية منذ تأسيسها حتى اليوم والشيخ أمين أحد أركانها البارزين على انها تعمل في خدمة الوطن والشرعية ولن تحيد عن هذا المبدأ مهما كانت التضحيات فهي ان كانت قد حملت السلاح خلال السنوات الأخيرة فلأنها شعرت بالخطر الداهم على الدولة وفي طليعتها الجيش الذي عملت الأيدي المشبوهة

على تفتيته وشل قدرته لكي تخلو الساحة لها . وكادت ان تحقق اهدافها ومخططاتها المستوردة لولا الموقف المشرف الذي وقفته الكتائب .

ويمكننا اثبات مواقف الشيخ أمين الجميل في هذا المجال من خلال اقواله في مناسبات عديدة . ففي إحدى خطبه يقول :

« ما كانت الدولة يوماً قوية إلا وكان الجيش متماسكاً . فالجيش هو العمود الفقري للدولة . الجيش الشرعي هو وحده القادر على التوحيد ، في حين ان كل قوة مسلحة غير شرعية لبنانية كانت ام غير لبنانية هي سبب للتقسيم . الجيش الشرعي وحده قادر على تحرير الأرض والانسان في حين ان كل قوة مسلحة غير شرعية هي مبرر أو عذر للاحتلال أو التسلط . نريد جيشاً قوياً بحيث يكون أقوى من كل الميليشيات والمنظمات مجتمعة . لا بل نأمل ونريد ان يكون الجيش هو القوة المسلحة الوحيدة على أرض لبنان . ان الجيش الذي نريد هو الجيش الذي يفرض شروطه على الجميع وليس الجيش الذي تفرض عليه شروط الجميع . الجيش الذي نريد هو الجيش الذي يتواجد في كل مكان لا في جزء من الوطن كما في الجنوب مثلاً . وليس أمام هذا الجيش مناطق محرمة أو مهمات ممنوعة . الجيش الذي نريد هو جيش الأمة ، جيش الشعب ، جيش كل لبنان ومن كل لبنان وفي كل لبنان .

« والكلام عن الشرعية والجيش يقودنا الى الاعتراف بتواضع بأن أقدم المدافعين عن الشرعية والجيش وأول المضحّين على مذبحهما ، رغم الانفعالات والمغامرات والسخط والضياع هو رئيسنا الشيخ بيار الجميل وقد ظل بيار الجميل يعلمنا بعناد وثبات ان الكتائب هي في خدمة لبنان وليس لبنان هو في خدمة الكتائب كما ظل يعلمنا بحدس الملهم واصالة المؤمن ان هناك مسلمات ثلاثة تشكل مقومات كيانية : هي الشرعية ورئاسة الجمهورية ، والجيش » .

إن الشيخ أمين الجميل كان من الرجال القلائل الذين عملوا بصدق واخلاص ووطنية على سد الثغرة الأساسية التي عانتها البلاد في أثناء الحرب بسبب فراغ الدولة فراغاً مقصوداً أرادوا لها أولئك الذين عملوا على تعطيل دور لبنان وانهاء دور هذا الوطن الصغير في مساحته ، الكبير في دوره الحضاري .

وبالرغم من كل التضحيات التي قدمها في سبيل نصرة الشرعية ومؤسساتها بقي على مواقفه الثابتة القائلة بأن أي قوة مهما عظمت لا تستطيع ان تحل محل الشرعية وهذا قول نادت به الكتائب اللبنانية وترجمته الى افعال والدليل الواضح على ذلك هو ان الجيش اللبناني متواجد اليوم في مختلف المناطق الشرقية وغائبا تماماً عن سائر المناطق التي

تتواجد فيها القوى المسلحة غير الشرعية وغير اللبنانية . وفي هذا رد بليغ على مزاعم محاولي تشويه الحقائق والقاء تبعة جرائمهم على غيرهم .

فالشيخ أمين الجميل كان أول من وقف الى جانب الشرعية عند انهيار الجيش وتعطيل دوره وسار في طليعة المدافعين عن هذه المؤسسة وعن كرامة الوطن وسيادته وقد تعرض للاعتداء عدة مرات ولكن العناية الالهية كانت تتدخل دائماً في الوقت المناسب لتنتشله من براثن الخطر .

ورسالة الشيخ أمين الجميل لم تكن وقفاً على صعيد دون آخر . فحين كانت المقاومة المسلحة حقاً وواجباً لم يقصر ولم يتوان لحظة عن تحمل كل التضحيات ،وحين دعاه الواجب لخدمة الانسان اللبناني لم يتقاعس عن النهوض بهذا العبء فكانت له أياد بيضاء في إنشاء مؤسسة للمعاقين تعمل من أجل الشهداء الأحياء،وفتح أبوابها بوجه جميع اللبنانيين مسلمين ومسيحيين .

كما شارك في حماية الدولة عن طريق النهوض بالمسؤوليات الاجتماعية يوم كانت الدولة في وضع صعب وغير قادرة على القيام بواجباتها فساهم في تأسيس التعاونيات الاستهلاكية ويعتبر مركز موريس الجميل الاجتماعي أبلغ انجاز على هذا الصعيد. وان كان للشيخ أمين من مآخذ على الشرعية فهو جمودها الذي يقود إلى المزيد من التشرذم السياسي والتسيب الأمني، فهو لا يرى بديلاً عن الشرعية ولذلك حثها دائماً على الاضطلاع بمسؤولياتها كاملة وقطع الطريق على جميع الفئات التي حاولت الهيمنة على الشرعية. وطالبها باتخاذ القرار الجريء . وبسط نفوذها واسترجاع حقوقها المسلوبة.

ففي لقاء شعبي قال الشيخ أمين الجميل : ان أمامنا وطناً بحاجة إلى أخذ القرار ، فهذا القرار لن يكون الا قراراً مشتركاً بين القيادات الأساسية التي بنت لبنان ، لن يكون الا قرار الشرعية .

« المطلوب عودة الشرعية الفاعلة والا فلا يبقى قرار ولا يبقى من يقررون »

« بعد التأجيل الدولي ، وبعد الاسترخاء العربي ، يبدو اللبنانيون اليوم أكثر اقتناعاً بالالتقاء ، والمطلوب من الشرعية ان تقوم بتحديد حد أدنى للموقف الوطني والمصيري الواحد »

وعاد الشيخ أمين الجميل فكرر دعوته الى الشرعية للاقدام رغم كل المداخلات القائمة على الساحة اللبنانية فقال في حديث صحفي : « المطلوب من الدولة أن تجند القوى وان تمحور حولها أصحاب النوايا الحسنة فيتحصّن بها الحكم لمواجهة المخاطر . وأصبح لزاماً على الحكم ان يطرح الصوت ويحصن الموقف الوطني الشرعي ، بمجموعة

القيادات المخلصة غير المتورطة ويواجه بهذا الأسلوب المؤامرة التي تستهدف الوجود اللبناني . علماً بأن هذه القيادات الأصيلة عبرت غير مرة عن نيتها السير بهذا الاتجاه وهي تتعجب من عدم اقدام الدولة على هذه الخطوة . ولا شك بأن التاريخ سيتساءل في المستقبل عن أسباب هذا التقصير في مرحلة مصيرية من تاريخ لبنان .

على الصعيد الأمني

لقد عرف اللبنانيون والعرب الشيخ أمين كما عرفه الخارج رصيناً متزناً يغلب عنده منطق العقل على ما عداه وهو يؤمن بلغة الحوار لحل جميع المشاكل وان كان لا يخشى البندقية التي حملها بأياد عندما دعت الحاجة لذلك وعندما تشبث أصحاب المبادىء المستوردة بلغة العنف والقتل والدمار .

وبما ان لغة المنطق هي التي تسود في النهاية فقد كان الشيخ أمين صاحب الكلمة المسموعة والرأي النير وساهم في التهدئة في أحيان كثيرة . أليس هو الذي ابعد شبح القتال مراراً عن منطقة الجبل بفضل قوة اقناعه ومنطقه فكانت كلمته أقوى من دوي المدافع المدمرة ؟ .

كان ولا يزال يعتبر ان الأمن يتحقق بخلق مناخات ملائمة تؤمن النجاح والاستقرار في البلاد وكل ما عدا ذلك يبقى نوعاً من المسكنات .

وفي كل مرة كان القتال ينشب في البلاد كان الشيخ أمين الجميل يتحرك لاسكات المدافع واطفاء أضواء زخات الصواريخ لا عن خوف وتهرب بل عن عقل ومنطق . فعندما دعت الحاجة وكان قسم من الشعب اللبناني في خطر اضطر شخصياً لخوض شرف الدفاع عن الجبل وشكا وأماكن أخرى من البلاد.

والشيخ أمين الجميل مع الاعتدال الصلب البعيد عن المواقف المتشنجة وقد جاء في أحد أحاديثه الصحفية : « تعرضت إلى مخاطر جمة خلال حرب السنتين . ان مواقفي هي الصلابة عينها وخصوصاً في النواحي المبدئية بينما كنت أرفض دائماً التصلب . وهنا أحب أو أوضح بأنني ضد مبدأ الاعتدال الى حد الميوعة . كما انني ضد التصلب الذي هو أقرب إلى التزمت والتشنج . فالميوعة هي اخت الجبن والتشنج هو أخو التهور. أما الشجاعة فهي من عالم آخر يختلف عنهما .

لقد كانت لي مواقف مميزة في أثناء الحرب وبعدها : فلا المدافع ولا الانفجارات حجبت عني الرؤية الصحيحة التي يجب أن تسيطر في النهاية على عقل كل لبناني مخلص . . ان الوفاق السياسي هو وسيلة أساسية لاعادة الأمن .

وكلنا يعلم ان علاقات الشيخ امين الجميل الشخصية وموقفه العقلاني ادى إلى تجنيب بعض المناطق وقوع أي صدام دموي،فخيم الأمن وحل محل العنف والقتال وساعد على اطفاء النار الملتهبة في مناطق أخرى. وقدم بذلك أجل خدمة للمواطنين وللدولة على حد سواء . حتى ان الشيخ أمين الجميل أصبح في بعض المراحل رجل الحوار والتهدئة الذي قل مثيله في خضم الأزمة الملتهبة .

الحواشي

١ ـ راجع «الصياد» الصادرة بتاريخ ١٩ ـ ٢٦ تشرين الاول ١٩٧٨

٢ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٣ شباط ١٩٧٨

٣ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٨ تموز ١٩٧٨ ـ الحديث الى اذاعة مونتي كارلو

٤ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٧٧

٥ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢١ آب ١٩٧٨

٦ ـ راجع «الصياد» الصادرة بتاريخ ٢٢ ـ ٢٩ كانون الاول ١٩٧٧

٧ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢١ آب ١٩٧٨

٨ ـ راجع «الحوادث» الصادرة بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٧٨

٩ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٧ شباط ١٩٧٨

١٠ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٧٨

١١ ـ المرجع السابق

١٢ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٨ تموز ١٩٧٨

١٣ ـ المرجع السابق

١٤ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٧٨

١٥ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ١٦ آب ١٩٧٨

١٦ ـ راجع «الانوار» الصادرة بتاريخ ١ نيسان ١٩٧٧

١٧ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ١٥ ايار ١٩٧٧ كلمة الشيخ امين الجميل في اختتام «اسبوع الشهداء» في انطلياس

١٨ ـ المرجع السابق

١٩ ـ امين الجميل: خطاب عيد العمل، ١٩٧٩

أمين الجميل والحركة الوطنية

إن العمل من أجل تحقيق الوفاق أو فتح باب الحوار اللبناني ـ اللبناني يمر ليس عبر « المجلس الاسلامي » أو عبر « التجمع الاسلامي » فقط وانما يمر أيضا عبر « الحركة الوطنية » وعبر « الجبهة القومية » أي عبر ما كان يطلق عليه في « حرب السنتين » : المجلس المركزي للأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية. والسبب في ذلك يعود إلى القناعة الثابتة بأن الوفاق هو رضى جماعي وليس عقدا بين متعاقدين. واذا كان تكتيك التحرك يفترض مرحليا عملية فرز لمجمل الأطراف المتوزعة على الساحة اللبنانية لدفع مسار الحوار فان الاستراتيجية الأساسية لا تقوم على إلغاء أية قوة من القوى الا بمقدار ما تسعى هذه القوة الى ضرب لبنان وتخريبه.

« فالمجلس الاسلامي » ينطلق من خط ارساء فكرة التعايش المسلم ـ المسيحي ، و « التجمع الاسلامي » يتحرك في ضوء المراحل التي مرت بها صيغة أو ميثاق ١٩٤٣ ويمهد لبناء مرحلة جديدة بديلة للصيغة السابقة ، و « الحركة الوطنية » تنطلق في بعض موقع من العثرات السياسية التي أدى تراكمها الى وقوع « حرب السنتين » وتضع برنامجا اصلاحيا اسمته : « البرنامج المرحلي للأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية » والحلول المطروحة خلاله تندرج تحت سبعة عناوين كبرى هي التالية :

١ ـ نحو الغاء الطائفية السياسية

٢ ـ اصلاح ديمقراطي للتمثيل الشعبي

٣ ـ اصلاح السلطات العامة وتحقيق التوازن بينها

٤ ـ اصلاح الادارة

٥ ـ اعادة تنظيم الجيش

٦ ـ تعزيز الحقوق والحريات الديمقراطية والعامة

٧ ـ الدعوة الى إنتخاب جمعية تأسيسية[١] .

أما «الجبهة القومية» فكانت لا تزال تؤكد على ضرورة تطبيق «الوثيقة الدستورية» التي تم وضعها أثناء زيارة الرئيس سليمان فرنجية الى سوريا واجتماعه بالرئيس السوري حافظ الأسد بتاريخ ٧ شباط ١٩٧٦ والتي اذاعها الرئيس فرنجيه على الشعب اللبناني بتاريخ ١٤ شباط ١٩٧٦ .

من خلال هذا العرض السريع لمواقف هذه الأطراف يتأكد ان مد الجسور بين الأطراف اللبنانية جميعها قادر ان يفتح إمكانية التعاون فيما بينها لاعادة الوحدة الى البلاد وبالتالي بناء لبنان المستقبل وهذا ما يتطلب « الانفتاح » على الجميع بدون قيد أو شرط الا قيد أو شرط العمل لخدمة لبنان الوطن . ولتأكيد هذا الانفتاح يعبر عنه بالرغبة لدى جميع الأطراف بممارسة دورها الكامل على صعيد الوطن والشعب .

فمن أجل بلوغ « الوفاق » والاتفاق على صيغة لبنان الجديد جاءت « انفتاحية » الشيخ أمين الجميل تعبر عن هذا الأمل بالوصول الى صيغة اتفاق تضمن انطلاق لبنان على أسس وركائز ودعائم سليمة .

وأولى بوادر هذه « الانفتاحية » إجتماعه بمندوب رئيس « المجلس المركزي للأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية » آنذاك المرحوم كمال جنبلاط ، السيد فايز قزي[٢] وكان برفقة الأب يواكيم مبارك وذلك بتاريخ ١٦ أيلول ١٩٧٦ ، أي قبيل انتهاء «حرب السنتين» . والغاية من الاجتماع هي ابلاغ حزب الكتائب اللبنانية رأى كمال جنبلاط وياسر عرفات في طريقة الخروج من الأزمة . وكان رأي الشيخ أمين الجميل : « ان للحركة برنامجا مرحليا للاصلاح ، ونحن لدينا مشاريع اصلاحية تصلح لأن تكون بداية حوار ونقاش من دون أن يفرض أحد رأيه على الآخر ، فنأخذ كل المشاريع التي تتناسب مع وضع لبنان المميز »[٣] .

هذا هو المنطلق وهذا هو الأساس لكل قاعدة ينطلق منها الحوار اللبناني ـ اللبناني من أجل بناء لبنان المستقبل .

وفي هذا الاطار كان لقاء الشيخ أمين الجميل والسيد وليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني[٤] بتاريخ ٧ نيسان ١٩٧٧ الذي تناول الوضع القائم والمراحل التي يمر بها لبنان . وفي هذا اللقاء ، أكد الشيخ أمين الجميل ، حسب مصادر « النهار »[٥] ، باسم حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل ، على وحدة لبنان

ورفض « التقسيم » ، كما أوضح ان المسيحيين في لبنان وخصوصا الموارنة ، يريدون ضمانات للاتفاق على صيغة لبنان الجديد الموحد . وحسب المصادر نفسها ، فان السيد وليد جنبلاط قد شارك الشيخ أمين الجميل في القول بوجود قلق لدى الأقليات في لبنان ، وان الجميع يطالبون بضمانات وعدالة ومساواة في الحقوق والواجبات.

وهذه « الانفتاحية » لم تقتصر على الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني فقط ، بل تعدته إلى الانفتاح على « التنظيم الناصري ـ إتحاد قوى الشعب العامل » ، حيث إجتمع المهندس سمير طرابلسي عضو المكتب السياسي للتنظيم ويرافقه المحامي عبد الرحمن قنبريس بالشيخ أمين الجميل وعضو المكتب السياسي في حزب الكتائب اللبنانية الدكتور ابراهيم نجار وقد تناول الاجتماع موضوع « الجبهة العريضة » وتأليفها ، والوضع في الجنوب ، والحوار اللبناني ـ اللبناني ، وتطبيق اتفاقية القاهرة (الموضوعة قيد التطبيق منذ ١٩٦٩) ، ووضع الجيش والتطورات في المنطقة .

وعقب هذا اللقاء قال المهندس طرابلسي : « إن لقاءنا مع الشيخ أمين الجميل والدكتور ابراهيم نجار يأتي في اطار المساعي التي تبذل لمد الجسور بين مختلف المناطق اللبنانية ، كما انه جزء من سلسلة اتصالات تجرى بهدف تكتيل اكبر قدر من الجهود لتعزيز مسيرة السلام في لبنان »[٦] .

وفي اطار الانفتاح على « الجبهة القومية » كان لقاء الشيخ أمين الجميل والأمين القطرى لمنظمة حزب البعث العربي الاشتراكي المهندس عاصم قانصوه . وقد جرى بخلاله[٧] عرض الأوضاع العامة ومختلف القضايا المطروحة والشؤون السياسية والأمنية ، وكذلك إمكانية التعاون من أجل بذل الجهود وللمساعدة في النهوض بلبنان ودعم مسيرة السلام .

من خلال هذا العرض السريع لمختلف اللقاءات التي تتم بصورة مباشرة تؤكد ان الرغبة المخلصة في الخروج من النفق المظلم ، الذي تحاول الأطراف الخارجية الابقاء عليه ، تلغي اى شكل من أشكال الاستئثار بالمصالح الرخيصة الفئوية .

وان كانت هذه اللقاءات لم تعط النتائج القاطعة فهي قد عطلت على جميع القوى والأطراف الانزلاق بعيدا في متاهات الانعزال والانفصال وأكدت انه حينما يرجو التحرك السياسي مصلحة لبنان الحق يسقط الكثير من أوهام التناحر الهدام. انفتاحية أمين الجميل عودة بكل شيء الى ما يجب أن يكون. عندئذ لا يعود الوفاق فعل ذوبان قدر ما يكون تنافساً بنّاءاً لاقامة وطن حقيقي، لصياغة رسالة للبنان بديل الاقتصار على لعبة المصالح المشتركة الآنية.

الحواشي

١ ـ راجع كتاب «لبنان الجديد» منشورات دار العمل ١٩٧٦، ص ٢٢

٢ ـ كان حضوره قد تم بالتنسيق مع كمال جنبلاط ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات

٣ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ١٧ ايلول ١٩٧٦

٤ ـ وقد عين رئيساً للحزب بتاريخ ٤ نيسان ١٩٧٧ خلفا لوالده بعد أن اغتيل في ١٦ آذار ١٩٧٧

٥ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٩ نيسان ١٩٧٧

٦ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٧٧

٧ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٨ تموز ١٩٧٧

امين الجميل والقضية الفلسطينية

في الحقيقة ، كانت « الجبهة اللبنانية » وخاصة حزب الكتائب اللبنانية الممثل فيها ، ترى ان الفلسطينيين ، بسبب تجاوزاتهم وخرقهم لمبدأ « السيادة الوطنية » اذ تحولوا مطية لليسار المتطرف أو (الدولي) ، قد خربوا قضيتهم التي لا يزال الشيخ بيار الجميل حتى اليوم يقول فيها بأنها « اقدس وأعدل قضية » .

وقد قالها الشيخ امين الجميل صراحة اثناء حرب السنتين : « لقد فقدنا كل ثقة بالقادة الفلسطينيين وسوف نرفض اي مشروع اتفاق معهم ما لم يغيروا ممارساتهم بشكل جذري او تستبدل قياداتهم بأوجه جديدة واعية وحكيمة ومدركة يكون هدفها خدمة الشعب الفلسطيني قبل اي شيء آخر ، لا ان تكون مطية لليسار المتطرف ، لأن خدمة الشعب هي من خدمة الوطن ، والوطن لا يزال سليبا والمطلوب انقاذه لا احتلال لبنان واستبداله من فلسطين[1] .

من هنا كانت الدعوة الدائمة الى استبدال الشعارات التي يرفعها الفلسطينيين والتي لا تؤدي الا الى المزيد من التراجع ومن توهج قضيتهم ، والى تغيير الممارسة[2] التي يعتمدها الفلسطينيون من اجل اطلاق قضيتهم الى العالم ، هذه الممارسة التي دفع لبنان ثمنا غاليا بسببها : « لسنا ضد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، لا بل صفقنا عندما ذهب رئيس الجمهورية اللبنانية (سليمان فرنجية) الى نيويورك ، الى الامم المتحدة ليبشر بالقضية الفلسطينية وبحقوق الشعب الفلسطيني ، اذن ، لا تناقض بين القضية اللبنانية والقضية الفلسطينية ، انما الذي يقتضي ان يفهمه البعض هو ان ابقاء الفوضى وابقاء التعديات على السيادة وابقاء السيادات المتعددة على الارض اللبنانية تحت ستار القضية الفلسطينية فهذا هو الخطأ ، وهذا هو ما سيؤدي الى انفجار الوضع في لبنان وما سيؤدي الى خراب كل لبنان[3] .

وبما ان المطلوب هو التغيير في ممارسة الفلسطينيين لساساتهم ، وخاصة في لبنان ، وبما ان هذا التغيير قد حصل وفق الواقع السياسي الذي يمر فيه لبنان والمنطقة حاليا والذي يتخذ في بعض وجوهه توطين الفلسطينيين في لبنان (أو في الاماكن التي يتواجدون فيها) ، فالضرورة تطرح اعادة فتح ملف العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية : « عندما كانت هناك ضرورة للقتال ضد ما اعتبرناه تجاوزا من الفلسطينيين للحدود والخطوط والموازين والاعتبارات والمقومات التي يقوم عليها هذا البلد ، عندها قاتلنا وكانت صدورنا في طليعة القتال والتصدي ، ولم نضن بأي غال في سبيل صون وجودنا وكرامتنا وسيادتنا . وعندما لاحت او تلوح اية فرصة لتصحيح العلاقة مع اي كان ، مع الفلسطينيين بالذات ،وتصويب المسار ، فموقفنا الواضح الصريح هو توظيف هذه الفرص من دون عقد او خلفيات او سلبيات لانقاذ لبنان واللبنانيين ، وبالتالي الفلسطينيين من هذه المؤامرة الكبرى (توطين الفلسطينيين) التي ترمي الى الابادة المتبادلة لهم ولنا» .

ولكن ، هل التوطين كان السبب الوحيد الذي يقف وراء اعادة العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية ؟

في الحقيقة ، التوطين هو الفرصة الجديدة التي طرحت مستقبل العلاقات بين الشعب اللبناني والفلسطينيين ، وتوظيف هذه الفرصة في خدمة الشعبين : اللبناني والفلسطيني ، وجدت لدى قناعات الشيخ امين الجميل الذاتية منفذا للعبور الى علاقات اوضح وامتن واقوى من ان تقف بوجهها « الاعاصير » و « الزوابع » السياسية .

القناعة الاولى

ان يبقى امين الجميل وفيا للتضحيات التي بذلها مع اللبنانيين والكتائب في الدفاع عن الوطن خلال حرب السنتين غير انه يقدّر ان الواقع الجديد يحتم تحركا جديدا « يستكمل » بوعي دقيق ما كان انجز باتجاه درء لبنان من ان يكون الوطن البديل ،اي يرى امين الجميل ان أحداث لبنان ترتسم حتى الآن في مرحلتين اساسيتين :

ـ الوطن البديل : محاولة ان يجعل الفلسطينيون من لبنان قاعدة بديلة لوطنهم

ـ التوطين : وحينما فشلت المرحلة الاولى عمد الان الى التفكير جديا بتخصيص جزء من الوطن يكون موطنا للفلسطينيين المتواجدين على ارضه .

لذلك يأتي تحرّك أمين الجميل مبنيا على اسس من بعد النظر يضع في الحساب أولويات مرحلية يقدر ان : « . . . التوطين يعني اعطاء الفلسطينيين الجنسية اللبنانية

بقرار سياسي على المستوى الوطني وهو ليس واردا بالطبع ، ونفضل عليه اي خيار آخر مهما كان مؤلما . والوطن البديل في لبنان يعني صراحة تقسيم لبنان . ولن نرضى بأن يصبح لبنان او جزء منه وطنا بديلا للفلسطينيين طالما في عروقنا دماء . وفي انتظار ايجاد حل نهائي للقضية الفلسطينية لا بد من ترتيب اوضاع الفلسطينيين انسانيا بحيث لا تدفعهم اوضاعهم الاجتماعية الى تفجيرات تسبب الاذى بلبنان[٥] .

لذلك كان من الواجب صياغة خطة عملية توصل للهدف . اي ان الالتزام اللبناني يحتم عدم الاكتفاء بتصريحات قد تغسل وجه هذا الخط السياسي او هذا الزعيم من الشبهات او الاتهامات ، بل هناك قضية ولا بد من التضحية في سبيلها بأي ثمن فعنده : « . . . لا يكفي ان نقاوم توطين الفلسطينيين بالتصريحات الصحافية بل بالعمل لوقفه . ولكن ، اذا وجدنا انفسنا لوحدنا نقاوم التوطين فيما يكتفي الآخرون بالمقاومة الشفوية ، فسيكون لنا طروحات اخرى ومواقف اخرى وسنكيف واقعنا اللبناني انطلاقا من تمسكنا بكرامتنا وحريتنا[٦] .

وقد تكون هذه الاولويات كما يلي :

اولا : فعل ايمان عنيد بالتصدي لمخططات التوطين تبقى الزاد الاساسي في دفع اي تحرك باتجاه الهدف الاكبر « يجب ان نتصدى لهذا الخطر الداهم ، ولا يعقل ان نرمي السلاح ونقول : هذه مشيئة دولية لا يمكننا الوقوف في وجهها . جرت محاولة لتوطين الفلسطينيين في العام ١٩٧٠ في دولة اخرى[٧] وفشلت ، وجرت محاولات اخرى وفشلت كذلك . وهكذا يجب ان نفشل التوطين عندنا . وعلينا ان نتصدى لو بأقصى حد من التنبه والتعقل والانفتاح مهما كان هذا الانفتاح صعبا ومستحيل المنال[٨] .

ثانيا : سعي حثيث الى توحيد لبنان باعتبار ان رفض التوفيق من جميع الفرقاء هو الجامع المشترك الاساسي في توحيد جمهور جميع اللبنانيين لتصب في قناة واحدة : « ان قضية التوطين هم كل الدول المعنية او المتطورة في قضية لبنان والمنطقة . لكن ، طالما ان التوطين سيكون على حساب جميع اللبنانيين المسلمين والمسيحيين ، اليسار واليمين ، فلماذا لا تبدأ جميع الاطراف اللبنانية ، اذا كانت مخلصة في محاربتها للتوطين ، لتوحيد لبنان حول هذا الجامع المشترك ، والا فالتوطين سيحصل اذا لم تتوحد الارادات اللبنانية وسيدفع كل لبنان ثمن ذلك . وعندئذ سيؤدي التوطين الى شرذمة اللبنانيين والفلسطينيين ايضا[٩] .

وعليه يسجل هنا أمين الجميل علامة اخرى من علامات خطه السياسي وهو الاصرار تحت اي ظرف على الانتقال من سلبية الواقع الى ما في هذا الواقع من جوانب

مضيئة . وهذا يعني الاصرار الدائم على رفض المراوحة والاستنزاف والاندفاع المستمر الى البناء والتغيير .

القناعة الثانية

من اجل خدمة القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني يقتضي اعتماد الحوار المباشر بين اللبنانيين والفلسطينيين ، اذ به يمكن ازالة الكثير من الاشكالات التي تزيل بدورها الكثير من الحساسيات :

كما يمكن بالحوار المباشر معرفة امكانيات ومجالات التعاون بين اللبنانيين والفلسطينيين من اجل ايجاد الحلول التي تمكن الشعب الفلسطيني من العودة الى وطنه وبناء دولته على تراب ارضه ، والتي تمكن الشعب اللبناني من العودة الى ممارسة حياته الطبيعية على ارضه دون خوف من الافكار التي تغزو مخيلات القادة الفلسطينيين : « بقدر ما نتعاون مع القضية الفلسطينية لايجاد الحلول التي تمكن الشعب الفلسطيني من العودة الى ارضه نكون قد خدمنا القضية اللبنانية التي نشأت اليوم كرد فعل لما حصل في لبنان[١١] .

من هنا نقول ان لا تناقض في الجوهر بين القضيتين اذ ان خدمة القضية اللبنانية هي من خدمة القضية الفلسطينية ، وبقدر ما تتم المساهمة في الدعم والحرص على القضية الفلسطينية بقدر ما يساهم ذلك في خدمة القضية اللبنانية ، ولا ننسى ان القضية اللبنانية نشأت كرد فعل على انحراف في مسار القضية الفلسطينية .

القناعة الثالثة

ان العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية ، اذا ما سارت نحو اقامة علاقات دائمة وثابتة ، تسهل في حل الكثير من الامور العالقة التي « تجعل القضية اللبنانية والقضية الفلسطينية تتصارعان وتتقاتلان على حسابنا وعلى حساب لبنان كوطن واقتصاد ودور مميز ومصالح واجيال لها حق طبيعي علينا في الحياة الكريمة والامنة[١٢] .

من هنا وجب التعاضد والتكاتف بين القضيتين ، تساند الواحدة الاخرى حتى لا يأتي وصول اي منهما على حساب الاخرى . وفي هذا الاطار يتم التعاون اللبناني ـ الفلسطيني الناتج عن وعي الفلسطينيين المخلصين « الذين يرفعون شعار العودة ولا يعتبروا ان لبنان عدوا لهم ، لا بل المساعد لحل قضيتهم على اساس العودة . اننا لسنا على استعداد لأن نقيم اي علاقة جديدة مع الفلسطينيين الا على هذا الاساس ، وعلى ان تكون هذه العلاقة متوازنة ومصيرية ومستندة الى مبادىء الاخوة والكرامة والعدل[١٣] .

اذن ، فالعلاقات الجديدة التي ستنشأ بين اللبنانيين والفلسطينيين ، والتي هي اليوم في طور تحضيرها لتأتي ثابتة ودائمة ، انما تقوم على أساس وعي المصير وعلى اساس الحفاظ على مبادىء الاخوة والكرامة والعدل ، هذه المبادىء التي تحافظ على حرية وكرامة الطرفين دون ممارسة الضغوطات تارة بالارهاب وتارة باللجوء الى القوة .

القناعة الرابعة

ان قيام علاقات طبيعية بين اللبنانيين والفلسطينيين تعتبر مدخلا الى علاقات جديدة مع اطراف لبنانية وعربية اخرى تتأثر مباشرة او بطريقة غير مباشرة بالمواقف الفلسطينية التي تطرح على الساحة اللبنانية . هذا المدخل الذي يسمح للدولة اللبنانية بأن تمارس سيادتها الكاملة على الاراضي اللبنانية وبقدر ما تترسخ العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية بقدر ما تقل الاعتبارات القائلة بـ « السيادة المتجزأة » او بـ . « السيادة المنقوصة » او بـ « السيادات المتعددة » . . . وبهذا تصبح ممارسة السيادة على اللبنانيين وغير اللبنانيين المقيمين على الاراضي اللبنانية ، ومنهم الفلسطينيون ، ممارسة كاملة لا اجتزاء فيها ولا نقصان : « . . . فالعلاقة بيننا وبين الفلسطينيين محور اساسي للعلاقة بيننا وبين مواقف عدة اطراف . فاذا اردت ممارسة السيادة على اللبنانيين ، وغير اللبنانيين المقيمين على الاراضي اللبنانية فان الممارسة لا تتحقق الا بتنفيذ القانون والشرائع والاتفاقات على كافة المتواجدين على الارض اللبنانية ، ومنهم الفلسطينيين[١٤] .

وتأخذ هذه القناعة منحى جديدا لترسم اطارات العمل من اجل علاقات لبنانية ـ فلسطينية مترسخة لا تتأثر بفعل المتغيرات اللبنانية والعربية والدولية ، ومن اجل ذلك « لا بد ان يكون الفلسطينيون مهيئين ، وان يكون السوريون جزء من عملية التنفيذ ، وان يكون المسلمون موافقين : فالسوري اليوم ، هو الاداة الامنية في الدولة . والفلسطيني هو الذي يقتضي ضبط ممارساته بالدرجة الاولى ، والمسلم يقتضي ان يكون موافقا ومتجاوبا مع مبادىء السيادة والقانون ، اي مع الحد الادنى المتوافق مع مصلحة الوطن وسيادته وكرامته[١٥] .

وهكذا تأخذ العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية طابعا جديدا يحافظ أكثر فأكثر على مستقبل هذه العلاقات ما دامت قائمة على الاحترام المتبادل وعلى الممارسات الصحيحة التي لا تدع وراءها مجالا لابراز اية حساسيات من شأنها ان تنعكس سلبا على مستقبل العلاقات وعلى الساحة اللبنانية . كما تشرك كل لبنان في الحفاظ على العلاقات الطبيعية بين اللبنانيين والفلسطينيين .

القناعة الخامسة

واذا كانت قاعدة الاستقرار[16] في لبنان والمنطقة هي في قيام تحالف صحيح واستراتيجي بين لبنان وسوريا والمقاومة الفلسطينية ، وهي قناعة ذاتية اساسية لدى الشيخ امين الجميل ، فان التقارب اللبناني ـ الفلسطيني لا بد ان يحصل من اجل تحقيق قاعدة الاستقرار هذه : « . . . فانا من دعاة التفاهم اللبناني ـ الفلسطيني ـ السوري ، وقلت ذلك حتى عندما كانت القذائف العشوائية تتساقط على قرانا وجبالنا ومدننا . وتكلمت عن تحالف استراتيجي بيننا وبين سوريا وبين الفلسطينيين[17] .

من هذه الزاوية نفهم معنى اللقاء بين الشيخ امين الجميل والرجل الثاني في منظمة « فتح » الفلسطينية السيد صلاح خلف (أبو أياد) والذي اثار ضجة بعضها سلبي والبعض الآخر ايجابي : « كان الهم الاساسي ، لا بل المحور الاساسي لهذا التحرك ايجاد هذا المخرج ، وليس السعي الى تفتيت جبهة هنا ، او هناك ، على حساب هذا أو ذاك من المتحاورين[18] .

ومهما يكن ، فان التحرك من اجل تحقيق هذه القاعدة ، لا يمكن الا اعتباره صادقا وصريحا وينطلق من قناعة ذاتية ترتكز الى منهجية واضحة في التعمق والوضوح في الرؤية : « . . . ان هذا الاتصال لم يكن هدفه عزل فريق او ايقاع الفتنة بين فريق وآخر ، بل لتحقيق تفاهم لبناني ـ سوري ـ فلسطيني ، وتفاهم لبناني ـ لبناني ، من هذه الزاوية يعرف الاطراف المعنيين ان كل بحثنا قام على محاولة ايجاد قواسم مشتركة ، او على الارجح جوامع مشتركة بطريقة واسلوب يحفظان بالنتيجة كرامة كل الاطراف وايجاد المخرج اللائق في رعاية السلطة الشرعية[19] .

وكما ان الحوار اللبناني ـ اللبناني يمر عبر الشرعية ، وكما ان العلاقات اللبنانية ـ السورية تمر عبر الشرعية ، كذلك العلاقات اللبنانية ـ واي تحقيق للتحالف الاستراتيجي بين لبنان وسوريا والمقاومة الفلسطينية يمر عبر الشرعية : «ان الدولة ليست بعيدة عن هذه العلاقات وهي محبذة لها ، ومن جهتنا نحبذ ان تكون الدولة اللبنانية هي الراعية والمشرفة على هذه الاتصالات سواء لجهة اللقاءات اللبنانية أو اللقاءات اللبنانية ـ الفلسطينية أو الحوار اذا حصل مع الجانب السوري[20] .

ومن هذا المنطلق يتخذ اللقاء او الحوار الكتائبي ـ الفلسطيني الصفة الرسمية ويكون ممهدا لعلاقات اكثر واقعية واكثر جدية .

القناعة السادسة

ان التقارب اللبناني ـ الفلسطيني او الكتائبي ـ الفلسطيني يضحد مزاعم الكثيرين من ان حزب الكتائب اللبناني يريد بالمقاومة الفلسطينية شرا او يريد تصفيه

الشعب الفلسطيني ، كما يضحد المزاعم القائلة بان حزب الكتائب اللبنانية ينفذ « المخططات الامبريالية والصهيونية » ، بحسب شعاراتهم او يتعامل مع اسرائيل .

كما ان التقارب الكتائبي ـ الفلسطيني يعطل الكثير من مخططات المستفيدين من انقطاع الجسور الواصلة بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية ، كما يغير من وضعية التوزيع الحالي للقوى والاطراف المتصارعة في الساحة اللبنانية ومردود ذلك :

١ ـ انقاذ لبنان من الاستمرار في اعتباره ساحة الصراع الفضلى في المنطقة وبالتالي فتح مجال البدء بالتعمير واستعادة الدور الاصلي للبنان

٢ ـ انقاذ الفلسطينيين من السقوط في مؤامرة اهانتهم واستنزافهم للانحراف بهم من الاتجاه الصحيح « ان مصلحة اسرائيل هي ان يبقى السلاح الفلسطيني مصوبا الى اللبناني ، ومتلهيا بالخصومات اللبنانية ، وان يبقى الفلسطيني مستنفرا ضد اللبناني لا ضد اسرائيل، كما ان مصلحتها في ان يبقى لبنان واللبنانيين مستنزفين بفعل وطأة الوجود الفلسطيني ومشاكله على ارضه[٢١] .

وبالتالي ، فان مصلحة اسرائيل تتخذ بعدا آخر ، وهي ابقاء الفلسطينيين في اماكن تواجدهم ، اي في الدول العربية ومنها لبنان . وهذا يعني ان مصلحة اسرائيل تستهدف لبنان ، وبالدرجة الاولى ربما ، وفي هذا اضرار بمصلحة لبنان وبمصلحة الشعب الفلسطيني : « هناك مسلّمات لا يستطيع ان يتجاهلها او ينكرها الا الغبي او المتآمر . ان مصلحة اسرائيل في ان يبقى الفلسطينيون في لبنان وان يقيموا على ارضه دولة او دويلة او جزيرة او توطينا أو وطنا ما[٢٢] .

من هنا كان من الضروري ومن الطبيعي مساعدة الفلسطينيين لايجاد حل لقضيتهم لأن : « مصلحتنا نحن اللبنانيين ، خصوصا المسيحيين ، ان يعود الفلسطيني الى ارضه وان يقيم دولة على ترابه لا على التراب اللبناني ، بحيث تستطيع الدولة اللبنانية ان تجمع السلاح من يد الذين يريدون ان يخرجوا عن انظمتها وقوانينها وسيادتها تحت اي شعار واي قضية[٢٣] .

القناعة السابعة

ان المحور الاساسي في عملية انقاذ لبنان يكمن في التفاهم اللبناني ـ الفلسطيني ، وبدون الوصول الى هذا التفاهم يعني استمرار لبنان في دوامة « الجهاز الجهنمي » التي يعاني منها . اذ ان اي تفاهم او اي حوار يقوم بين جميع الاطراف دون التفاهم بين اللبنانيين والفلسطينيين مرده الفشل ، فاما ان يكون الحوار متكاملا مع جميع الاطراف ليعطي النتيجة المطلوبة ، والا فلن يؤدي الا الى لا شيء .

على ضوء هذه القناعات تتحدد ابعاد التحرك مع الفلسطينيين اذ يؤكد الشيخ امين الجميل بنفسه : « ان اللقاء اللبناني ـ الفلسطيني ، لم يكن من اجل « الدردشة » او « التكتكة » ، انما هو رفض عملي لسياسة التوطين عبر مراهنتنا على التفاهم مع العرب وليس مع اعدائهم . فالحلول الدولية التي تطبخ اليوم كما نعتقد تضع في رأس اهتماماتها توطين الفلسطينيين في لبنان . وهذا التوطين لا يتم بالرفض الفلسطيني وانما باقامة صلات مباشرة مع الجهات التي يستهدفها هذا الوطن ، يعني اللبنانيين والفلسطينيين ، والجهات المؤتمنة مؤقتا على امن لبنان والسوريين في طليعتها ، وذلك من اجل وضع مخطط عملي لرفض التوطين . ورفض التوطين لا يتم الا من خلال توجه الفلسطينيين نحو قضيتهم الاساسية ومساندتهم في هذا الاتجاه لاقامة دولة على ترابهم ، وفوق ارضهم وليس على ترابنا وفوق ارضنا .

ونحن انطلاقا من هذا المفهوم ، مفهوم انقاذ لبنان ، ومحاربة التوطين عمليا ، واعادة الفلسطينيين الى وطنهم وليس ابقاؤهم في لبنان والحؤول دون تنفيذ المخططات على حساب اللبنانيين عامة والمسحيين بصورة خاصة ، اتجهنا الى هذا التفاهم اللبناني ـ الفلسطيني . واننا مصممون على السير في هذا الخط لاحباط مخطط التوطين في ارض لبنان ونسيان القضية الفلسطينية الاساسية ،وعندما نحارب التوطين، نكون قد حاربنا التقسيم في نفس الوقت ، لأن التوطين هو في نظرنا الطريق نحو التقسيم ، وحتى نحارب التقسيم ، يجب ازالة شبح التوطين . ولذلك يقتضي اقامة علاقة مباشرة مع الفلسطينيين وتوجيه جهودهم نحو قضيتهم الاساسية . وكم من جهة ، بحجة محاربة التقسيم ومحاربة التوطين تعمل لتكريس التقسيم والتوطين معا[٢٤] .

وهكذا فنظرة الشيخ أمين الجميل الى القضية الفلسطينية لا تختلف عن نظرة حزب الكتائب لهذه القضية التي اعتبرها مأساة انسانية تستحق العطف والمساعدة فمد للفلسطينيين يدا بيضاء صادقة وتعهد لهم بتقديم كل عون حتى تستعاد ارضهم فتقام دولتهم وبانتظار ذلك تعامل معهم على أساس إنهم أخوان وضيوف تجب مساعدتهم . ولكن الفلسطينيين للأسف الشديد قابلوا الاحسان بالاساءة وغصن الزيتون الذي قدم لهم بالمدفع الذي راح يمعن في تخريب هذا البلد الذي استضافهم . لقد تطاولوا على مضيفهم حتى باتوا وكأنهم هم أهل البيت ومضيفيهم هم الضيوف . لا بل أكثر من ذلك راحوا يعملون ويتصرفون وكأنهم باقون الى الابد الامر الذين لفت انتباه الدول الكبرى وشجعها على السير لمحاولة التوطين وحل القضية الفلسطينية على حساب لبنان كما ان الفلسطينيين كانوا السبب في الضربات التي وجهتها اسرائيل الى الجنوب ومناطق أخرى من لبنان فكأن هدفهم الوحيد لا بل همهم الاوحد ضياع لبنان كما ضاعت فلسطين فيتساوى الشعبان اللبناني والفلسطيني في النكبة . ولكن الشعب اللبناني هب

لكرامته وصمد بوجه الأعاصير وفوت الفرص على الاعداء المتربصين بهذا البلد . وأبى أن يقف موقف الشعب الفلسطيني المتخاذل عام ١٩٤٨ .

والشيخ أمين الجميل من القادة الذين نذروا أنفسهم لخدمة لبنان وهب للدفع عنه . لقد آمن بأنه إذا لم يكن بمقدور الدول الصغيرة وحدها أن تحقق السلام فانها قادرة في الأقل على أن تعكر هذا السلام الذي تريده الدول الكبرى لوحدها وبحسب رغباتها .

لقد رفض الشيخ أمين أن يصبح لبنان المكان البديل للشعب الفلسطيني ، لحرب العصابات التي يخوضها ، لمخيماته ، لتجاوزاته ، لفوضاه ، لمكائده وارهابه . ويقول في احدى خطبه :

« مشكلتنا ليست حفنة من رمال او بقعة ارض ، بل مشكلتنا هي مشكلة الوجود الفلسطيني المسلح . فماذا ينفع لبنان اذا حلت كل مشاكل الدول العربية ولم تحل مشكلة الشعب الفلسطيني خاصة المتواجد على ارضه . »

« وأعجب ما في الأمر أن كل القضية الفلسطينية أصبحت محصورة لا بل « محشوة » في لبنان : شعباً ومقاومة ، ومخيمات وجيشاً وقادة وسلاحاً ومالاً وتنظيماً ومنظمات وأنظمة وتجاوزات وفوضى وتسلطاً وهيمنة وعمليات وتصفيات وارهاباً وتخريباً ومع ذلك يريدوننا أن نقتنع بأن ما يجري يحل مشكلتنا » .

لقد كان صريحاً وواضحاً أن الشيخ امين الجميل لا يعارض القضية الفلسطينية كقضية شعب سلبت حقوقه بل انه يعارض أن تصبح القضية الفلسطينية قضية لبنانية مزمنة . إنه رغم كل التجاوزات التي ارتكبتها المقاومة الفلسطينية على أرض لبنان ورغم نقضها لكل الاتفاقات مع الدولة اللبنانية محاولة أن تجعل من لبنان وطنا أبديا لها بقي ايجابيا في مواقفه من تأييد القضية الفلسطينية كقضية . وأبقى باب الحوار مفتوحا مع أركانها لأنه رغم حملة البندقية بقي مؤمنا بأن لغة الحوار هي التي يجب أن تسود قال :

« نحن متفقون مع الفلسطينيين على أن وطنهم في فلسطين على أن لا يتنكر الفلسطينيون للحقيقة البدهية : إن لبنان وطن اللبنانيين . فبقدر ما يقترب الفلسطيني من قضيته الأساسية يقترب اللبناني من الفلسطيني ، وبقدرما يبتعد الفلسطيني عن قضيته ووطنه الأساسي ويحول أنظاره مقاربة الى لبنان بقدر ما يبتعد اللبناني عنه ويحول أنظاره وجهوده عن القضية الفلسطينية .

« لسنا في عرض التمنين او التذكير ولكنها كلمة حق لا بد منها ان للبنان على

القضية الفلسطينية أكثر مما للقضية الفلسطينية على لبنان . يكفي لبنان إن أعطى لفلسطين اثنتين : واحدة هي النموذج والثانية هي المعادلة .

فلبنان هو نموذج لحل القضية الفلسطينية ، فهدف المقاومة الفلسطينية المعلن والأبعد هو اقامة دولة تتعايش فيها الأديان والعقائد .

« إن هدم النموذج اللبناني في التعايش ضرب لما تعلنه المقاومة من شعارات وحلول لمشكلتها » .

وأكثر ما يؤلم الشيخ أمين الجميل هو التصرف الفلسطيني حيال لبنان رغم ان لبنان هو الدولة الوحيدة في العالم العربي والعالم الذي اعطى المقاومة اكثر مما كانت تتوقع هي نفسها الحصول عليه . ولم يحاول يوما أن يتدخل في شؤونها او يستغل الانقسامات الحاصلة بين تنظيماتها لتأليبها على بعضها بل انه مدّ يد العون لها، وعمل كل ما بوسعه لخدمة القضية الفلسطينية التي حملها على اكتافه الى جميع المحافل الدولية وعرفها على المنابر الدولية . فبادلوا الضيافة الاحتلال والصفح والحقد وكسروا اليد التي امتدت لانتشالهم وتحولوا الى عصابات خارجة على كل القوانين يصدرون الارهاب من أرقى بلد الى العالم كله . وبدل أن تحارب اسرائيل لاسترجاع أرضها وحقوقها راحت تنفلش بكل قوتها في المدن اللبنانية وتزرع أسلحتها ومدافعها بين المنازل وما لبثت أن وجهتها باتجاه اللبنانيين فكأن الشعب اللبناني هو الذي احتل ارض فلسطين وطرد شعبها وبذلك أدت المقاومة الفلسطينية اكبر خدمة لاسرائيل .

ويقول الشيخ أمين أن لبنان هو أفضل الدول العربية معاملة للفلسطينيين ليس من الناحية الانسانية فحسب ، بل من الناحية السياسية أيضا بالرغم مما طرأ أو يطرأ من خروج احيانا على هذه القاعدة . فلبنان هو الدولة العربية الوحيدة التي لم تتدخل في شؤون المقاومة الداخلية لا تنظيما ولا منظمات . في حين أن تدخل المقاومة الفلسطينية في الشؤون اللبنانية الداخلية أكثر من تدخلها في شؤون الدول العربية الأخرى لدرجة أنها فرضت على لبنان اتفاقية لم تفرضها على أية دولة عربية ثانية .

والشيخ أمين الجميل يدرك بما له من نظرة ثاقبة للامور أن مصلحة لبنان هي في أن يكون للفلسطينيين وطن خاص بهم وأن تقيم المقاومة دولة لها على أرض فلسطين والمشكلة لا تحدث بين الفلسطينيين الذين يحبون فلسطين أكثر من لبنان وبين اللبنانين الذين يحبون لبنان أكثر من فلسطين، بل المشكلة تحدث عندما يحب بعض اللبنانيين فلسطين أكثر مما يحبون لبنان وعندما يحب بعض الفلسطينيين لبنان أكثر من فلسطين ويطيب لهم الاستقرار والاستمرار والاستيطان فيه .

وهنا لا بد من الاشارة الى أن الحركات اليسارية التي تسمي نفسها وطنية هي أبعد ما تكون عن الوطنية لأنها وقفت الى جانب كل ما هو غير لبناني لا حبا به بل في سبيل مصلحة شخصية ضيقة . فالحركات اليسارية ان كانت قد وقفت الى جانب المقاومة الفلسطينية فليس حبا بها وايمانا بقضيتها بل لأنها رأت فيها الدعم الذي تستعيض به عن الدعم الشعبي الذي تفتقر اليه . وبدورها استغلت المقاومة الفلسطينية هذه الحركات المتآمرة لتظلل تحركاتها بغطاء لبناني تختفي وراءه عند الحاجة . وهذا الغطاء ساعدها على أن تعبث في الأرض اللبنانية دماراً وفساداً وتقتيلاً.

وكم نصح الشيخ امين الجميل المقاومة الفلسطينية بالابقاء على لبنان نموذجا تعايشياً موحداً وعدم عرقلة الدولة في أن تصبح سلطة قوية قادرة على المحافظة على وحدة الأرض والشعب . لأنه بقدر ما تكون الدولة اللبنانية قوية بقدر ما يكون الفلسطينيون محميين . وهو يقول في هذا المجال :

« إن الدولة اللبنانية القوية حليف للفلسطيني صاحب القضية والمناضل من أجل وطن له ودولة على ترابه الوطني . والدولة اللبنانية عدو للفلسطيني المتخلي عن قضيته البادل وطنه بوطن الآخرين ودولته بدولتهم » .

بهذا الوعي ، وبهذا الضمير الوطني تحرك الشيخ أمين الجميل لينصح المقاومة الفلسطينية بعدم التدخل في الشؤ ون الداخلية اللبنانية . وعدم التحول الى حزب لبناني فئوي يدعم فئة لبنانية ضد فئة لبنانية اخرى ، وحذر الفلسطينيين كثيرا من أن هذا السلوك يجرهم الى التورط ويؤدي بلبنان الى المأساة .

وهكذا ومن أجل الحيلولة دون التورط الفلسطيني ومن أجل تجنيب لبنان مأساة جديدة ، تحرك الشيخ أمين الجميل في اطار سياسة حزب الكتائب في ضوء اعتبارين اساسيين لا يزال يتحرك على أساسهما : احترام المقاومة لسيادة لبنان وسلامة اراضيه ، وعدم التدخل في الشؤ ون اللبنانية الداخلية .

وهذا التحرك ليس جديدا ، لقد كانت الكتائب اللبنانية السباقة ومنذ ١٩٤٩ الى التحذير من الخطر الصهيوني من خلال اراء ورؤ يا المرحوم الشيخ موريس الجميل .

وفي إحدى المناسبات وجه الشيخ أمين الجميل الى الفلسطينيين وقيادتهم هذه الكلمة :

« أفضل لكم الف مرة أن تقبلوا بما يقدمه لكم كل لبنان ولو كان الحد الأدنى على أن تأخذوا ما يعرضه عليكم بعض لبنان ولو كان الحد الأقصى . لأن الحد الأدنى المقبول من كل لبنان ثابت ودائم لكم . في حين أن الحد الأقصى المعروض من بعض

لبنان زائل وباطل ومستنزف .

إن الحد الاختياري المتفق عليه بين اللبنانيين يخلق السلم والوفاق بينكم وبين لبنان والحد المفروض المختلف عليه يخلق الحرب والشقاق بين لبنان[٢٥] .

والشيخ أمين الجميل ينادي دائما باعطاء كل ذي حق حقه ومن هذا المنظار يرى أن يتم التعامل مع الفلسطينيين بحيث لا يعطون أكثر من حجمهم فهو يرفض هذا الانفلاش الفلسطيني المسلح الذي لم يعد يتقيد لا باتفاقات ولا بقوانين البلد المضيف . لقد تجاوزوا اتفاق القاهرة رغم أنه أعطاهم ما لا يمكن أن يعطيهم إياه بلد آخر ثم تجاوزوا اتفاق شتورا الذي بقيت مقرراته حبرا على ورق لذلك اضطر الى حمل البندقية رغم عدم قناعته بلغة السلاح ولكنه عندما رأى أنه لا يفك الحديد الا الحديد ولا يوقف المدفع الا المدفع ومنعا من أن يصبح لبنان كله في يوم من الأيام تحت الاحتلال فيضيع كما ضاعت فلسطين على أيدي أبنائها ، وقف في طليعة المدافعين معرضا نفسه للموت أكثر من مرة .

ويرى الشيخ أمين الجميل أن تفاقم المشاكل اللبنانية الأخيرة مع الفلسطينيين نتج في الأصل عن سوء تقدير في الحسابات التي يجب أن تبني أسس العلاقات معهم . وهو يقول ان حقيقة الوضع الفلسطيني على الساحة اللبنانية أصبحت على الوجه الآتي في أن المقاومة الفلسطينية صارت أكبر من أن ترجع الى المخيمات ولكنها بقيت اصغر من أن ترجع الى فلسطين .

لذلك فان العمل السياسي اللبناني يفترض وضع خطة تعالج هذا الواقع الجديد على أساس واحد هو ضمان السيادة اللبنانية . فنحن لا نريد للفلسطينيين او لغيرهم الابادة بل إن أي علاقة مع لبنان لا يمكن أن تقام إلا على شرط أولي هو ضمان الحرية والكرامة وسيادة القانون والدولة على كافة الأراضي اللبنانية .

منذ اندلاع القتال في لبنان حتى الساعة والشيخ أمين الجميل يتعامل مع المشكلة الفلسطينية على أنها مشكلة شعب سلبت حقوقه ، إنه يعمل من أجل إيجاد حل عادل لها ولكنه في الوقت نفسه يرفض أن يكون هذا الحل على حساب لبنان البلد الذي استضاف الفلسطينيين أبان محنتهم وتشردهم وقدم لهم ما لم تقدمه الدول العربية مجتمعة . ففي حديث صحفي (النهار) يقول :

« إن على أرض لبنان ما يناهز نصف مليون فلسطيني ، ومهما تشنجنا ومهما تجاهلناهم فان مشكلة الوجود الفلسطيني تبقى على الساحة اللبنانية مطروحة بكل أبعادها وانعكاساتها خصوصا واننا لم نلمس من خلال التحرك القائم أي امكان في

الوقت الحاضر لترحيلهم عن لبنان . وبقدر ما نتعاون مع القضية الفلسطينية لايجاد الحلول التي تمكن الشعب الفلسطيني من العودة الى أرضه نكون قد خدمنا القضية اللبنانية التي نشأت اليوم كرد فعل لما حصل في لبنان . فلا تناقض في الجوهر بين القضية اللبنانية والقضية الفلسطينية . يبقى أن يعي الفلسطينيون المخلصون الذين يرفعون شعار العودة ، هذه الحقيقة ولا يعتبروا لبنان عدواً لهم ، لا بل المساعد لحل قضيتهم على أساس العودة . إنما لسنا على استعداد لأن نقيم أي علاقة جديدة مع الفلسطينيين إلا على هذا الأساس وعلى أن تكون هذه العلاقة متوازنة ومصيرية ومستندة الى مبادىء الأخوة والكرامة والعدل . وإنني شخصياً حتى بعد أحداث عين الرمانة كان موقفي هو هو بالنسبة الى هذه القضية ولم يتأثر بالمعركة المصطنعة التي خاضها الفلسطينيون وأعوانهم على الساحة اللبنانية منذ العام ١٩٧٥ حتى اليوم .

إذن الشيخ أمين الجميل لم يتبع حيال الفلسطينيين السياسة الشقيرية التي تقول برمي هذه الفئة أو تلك في البحر ، لا بل على العكس اعترف بقضيتهم وحاورهم وحاول اقناعهم بما فيه مصلحتهم لأن تصرفاتهم في لبنان لا تخدم قضيتهم ولا قضية لبنان . والكل يعلم وفي الطليعة الفلسطينيون بأن تورطهم في أحداث لبنان اضرّ بقضيتهم الى اقصى حد حتى أوشك أن يقضي عليها وما كسبوه في العالم الغربي والمحافل الدولية بدأوا يخسرونه شيئا فشيئا مع بداية الأحداث اللبنانية التي وقفوا طرفاً أساسياً فيها .

وهو لا يترك فرصة تمر إلا ويعمل فيها من خلال هذه القناعات . لقد انتهز فرصة ذهاب الوفد النيابي اللبناني الى الكويت مؤخرا فاشترك فيه ليدلل للعرب على أن حزب الكتائب منفتح أمام الجميع وعلى الجميع وان لبنان بكل طوائفه وفئاته متضامن مع العرب . لقد أراد أن يبرهن للدول العربية عدم صحة التهم التي كانت تلصق في مناسبة وغير مناسبة بالكتائب ولم يكتف بالاشتراك بالوفد بل إنه اجتمع الى خالد الفاهوم الفلسطيني وأفهمه أن لبنان لا يريد الا الخير للفلسطينيين شرط أن يريدوه هم لأنفسهم . وانطلاقا من مبدأ عدم معاداة أحد ، الذي آمن به الشيخ أمين الجميل وعمل له بكل قواه لم يترك فرصة او مناسبة تمر الا واجتمع فيها ببعض القادة الفلسطينيين آملا أن يؤدي الحوار الى ما فيه خير لبنان والقضية الفلسطينية حتى إنه في بعض الأحيان عرض نفسه للخطر وللانتقادات ولكنه لم يكن ليهتم لكل هذا بل كان همه الوحيد خدمة القضية اللبنانية بصمت مطبق فهو يؤمن أن العمل وحده يجري وان الكلام لا يؤدي الى نتيجة في سوق المزايدات القائمة على الساحة اللبنانية .

ولذا فهو يؤثر أن يحيط اتصالاته بالكتمان لكي لا تستغل وتفشل وقد توجها في

اللقاء العلني مع الفاهوم يوم زار الكويت في عداد الوفد النيابي اللبناني . وحول هذا الموضوع قال الشيخ أمين الجميل :

« أوضحنا أكثر من مرة أن لبنان لا يريد أن يعادي أحداً ولا يريد أن يدخل في سياسة المحاور ، اذ ليس بوسع لبنان أن ينهج هذا السبيل . كما أظهرت الممارسات أن السلاح ليس الوسيلة المطلقة لحسم الخلافات بين المقيمين على الساحة اللبنانية . من هذا المنطلق كان انفتاح الكتائب على الجميع ومن ثم عدم اعتماد السلاح كوسيلة أساسية لحسم الخلافات . باشرنا في الكويت حواراً مع منظمة التحرير الفلسطينية لكي ندرس بكل انفتاح ورحابة صدر ومحبة وتجاوز المحن التي شهدتها العلاقات بين الكتائب والمقاومة الفلسطينية في محاولة لبلورة أرضية صالحة للتفاهم خدمة للبنان وللقضية الفلسطينية ، لأن وحدة لبناني المعافى ، لبنان السيد المستقر ، لبنان ذي الشرعية على كامل ترابه ، هو اللبنان القادر على مساعدة الشعب الفلسطيني وهو القادر على دفع القضية العربية الى الامام وهو القادر على حماية الشعب الفلسطيني وقضيته . ولذلك كان الهدف من حوارنا بحث خطورة الموقف على الساحة اللبنانية فنبين أن لبنان المقسم لا يمكنه أن يخدم القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني بشيء ، بل على العكس يورط القضية الفلسطينية أكثر فأكثر على الأرض اللبنانية ، وبالتالي هناك تخوف أن يكون لبنان المقسم هو نهاية ، كي لا نقول مقبرة للقضية الفلسطينية[٢٦] .

والشيخ أمين الجميل لم يتوقف يوما عن القول بضرورة ترسيخ العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية على أسس ثابتة تكفل مصالح الشعبين وتصون كرامتهما ، وقد ردد هذا القول في أحلك الظروف غير عابىء بما يثيره مثل هذا الموقف خصوصاً في الأوقات التي عرفت فيها العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية أشد الحرج .

وفي هذا المجال قال : « الامنية التي نأمل أن تتحقق هي أن ترسخ العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية ، واللبنانية ـ السورية على الأسس الأخوية الحقيقية القائمة على التعاون المخلص ، والتكامل المنطقي . . . والواقع إن موقفي السابق المعروف في هذا المجال ما زال على حاله ، وهو الدعوة الى العمل وفق تلك الأسس . . . . حيث كنت قد طرحت مواقف من هذا القبيل في أحلك الظروف ، خاصة في ظرف كان يعتبر فيه هذا الكلام في بعض الأوساط مجرد هرطقة وطنية . . انما والحمد لله فقد أصبح الكل مقتنعاً بأن تلك الأسس هي الكفيلة بانقاذ الوطن ولا بديل عنها إلا حرب المئة سنة .

« هذه هي الأمنية التي نعمل في الواقع في سبيل تحقيقها ، لكننا يجب أن نتوقف عند محاولات عرقلة تنفيذ تلك الأسس ومعرفة الاسباب التي تؤدي الى منع اللبنانيين من أن يتفاهموا مع بعضهم البعض ومن أن يتفاهموا مع أشقائهم العرب بدءا بالشعب

الفلسطيني وسوريا . لأن ما نشعر به اليوم هو وجود سد منيع أمام المساعي الخيرة المبذولة من أجل الانقاذ من خلال تفاهم الأطراف المعنية على الساحة اللبنانية .[٢٧] »

وقد كشف الشيخ أمين الجميل عن أن الحوار استمر مع الفلسطينيين رغم الأحداث فلم يرهبه وضع ولم يثنه عائق عن القيام بما يؤمن به . مع علمه بأن العاملين ضد الحوار كثر ولهم القدرة على عرقلته . ولكن الكتائب قابلت السلبية بالإيجابية متحدية الصعاب . وحول هذا الموضوع قال الشيخ أمين الجميل : « لم ينقطع الحوار بيننا وبين الفلسطينيين وبين المقاومة بالتحديد . منذ ١٩٧٦ عقدت شخصياً عدة اجتماعات مع المقاومة وكنت اذ ذاك اخاطر بحياتي واذهب الى المنطقة الغربية في بيروت للاجتماع بأبو حسن سلامه مرارا والاجتماع بأبو أياد مراراً وبعد ذلك رتب احد الاصدقاء اجتماعا بين وفد فلسطيني والشيخ بيار الجميل والرئيس كميل شمعون وبالواقع تم الاجتماع »[٢٨] .

إذن الشيخ أمين الجميل مع القضية الفلسطينية قلباً وقالباً ولكنه ضد الممارسات الفلسطينية الشاذة وضد الفوضى الفلسطينية لأنها في النهاية لا تضر لبنان فحسب بل تضر أكثر القضية الفلسطينية وقد كان صادقا ومعبرا في الرسالة التي وجهها الى ياسر عرفات عبر الصحف وجاء فيها : « رسالة من القلب لأنه لا يمكن لأي انسان إلا أن يشعر مع الشعب الفلسطيني الذي شرد من أرضه والذي يعمل ويناضل في سبيل استعادة حقه ، وهو بهذا النضال محق ونضاله مقدس . فلذلك نحن نحترم هذا الحق ، نحترم هذا النضال ومن القلب لأننا أيضا عايشنا ولفترة طويلة الشعب الفلسطيني في لبنان وكانت تلك المعايشة مخلصة وصادقة .

وأمنيتي أن نعود الى صفاء تلك العلاقات التي سادت في نهاية الاربعينات والخمسينات والستينات وأن نتجاوز تلك المحنة التي مرت على تلك العلاقات وما حصل من مآسي وأن نغض النظر عن من المسؤول عن الذي حصل .

امنيتي أن ننطلق من جديد يداً واحدة وقلباً واحداً في سبيل تحقيق الأهداف التي نسعى إليها جميعاً ومن غير مصلحة فلسطين أن يكون نضالها على حساب لبنان وعلى حساب مصالح لبنان وعلى حساب سيادة واستقلال لبنان . ولا يعقل أن يكون هدف النضال الفلسطيني على حساب أي شعب اخر ولذلك لنا أيضاً ما يجمع بين شعبينا وأكثر بكثير مما يفرق بيننا .

ويبقى أن نوظف تلك الايجابيات للمصالح المشتركة بين شعبينا في الوصول الى الهدف الذي نعمل من أجله .

وبعد هذا يقولون أن الكتائب هي ضد القضية الفلسطينية وضد الدولة الغربية ويلفقون الاتهامات الكاذبة التي لم تعد تنطلي على أحد ويتهمونها بأنها انعزالية وهي الأكثر انفتاحا على الجميع ولكنها ترفض أن تساوم على حق الوطن وسيادته وحريته واستقلاله . اليست الكتائب هي التي راهنت ولا تزال على الحل العربي وقدمت للجنة المتابعة أقصى التنازلات لتمكينها من القيام لما عهد إليها علها تحقق ولو خطة ايجابية على طريق حل الأزمة اللبنانية فكان أن كشف المعرقلون عن وجههم وظهر الزيف والرجل السياسي على حقيقتهما ؟

يقول الشيخ أمين أهداف حزب الكتائب منذ نشأته حتى اليوم واضحة وكذلك ممارساتنا وتصريحاتنا . منذ البداية كان رهان الحزب ولا يزال على التضامن العربي وعلى الأخوة العربية وعلى الطروحات والمبادرة العربية . وفي عام ١٩٣٦ كان حزب الكتائب رأس الحربة في معركة الاستقلال ضد الانتداب الفرنسي . كما ترأس بيار الجميل في عام ١٩٤٣ الجبهة الوطنية بناء على طلب من السيدين انيس الصغير وجميل مكاوي . الكتائب تعمل دائماً من أجل التضامن العربي ورهانها عربي دائماً وفي كل المحافل الدولية لكن لسوء الحظ فان الأحداث التي مرت بلبنان مؤخراً عطلت الرؤية عند البعض الذي انساق مع حملة الاتهامات الموجهة ضد الكتائب ، وانجرف هذا البعض في حملة تشويه سمعة الحزب انطلاقا من مفاهيم خاطئة مضرة بالقضية العربية وبالمصلحة العربية . نحن الان نعمل من أجل تبديد هذه الغيوم ليقتنع الجميع بأن تلك الحملات هي محض افتراء .

. . . تبقى أمالنا معقودة على الدول العربية المخلصة والمترفعة على الحزازات وفي طليعتها المملكة العربية السعودية التي تلعب دوراً رائداً في انقاذ الوضع العربي الراهن والمحافظة على وحدة الصف العربي ، ونأمل أن يوفق الله المملكة وامثالها في عملية الانقاذ هذه لتتحقق امال الجماهير العربية وأمانيها .

وحتى الساعة ورغم الانتكاسات التي منيت بها اعمال لجنة المتابعة العربية يبقى الشيخ امين الجميل يراهن على الحل العربي وخصوصا الدول المخلصة الممثلة فيها والتي ليس لها أي اطماع ولا مصلحة في بقاء الأزمة اللبنانية .

ومن هذا المنطلق قال في حديث صحفي « لم نزل في لبنان نعلق بعض الامال على لجنة المتابعة العربية . لاننا نعرف تماما مدى اهتمام بعض اعضاء اللجنة بعملية الانقاذ اللبناني انما هذا لا يمنع وجود خيبة امل كبيرة يشعر بها اللبنانيون لأنه حتى هذا التاريخ لم يحرز أي تقدم على الاطلاق على طريق الحل اللبناني ومن واجب الحكم أن يصارح الشعب اللبناني وأن يضع الكل امام مسؤ ولياتهم وأن يفضح من يعرقل

ويشكر بالتالي من يساعد وأن يضع هو التصور الشامل للحل المنشود من قبل اللبنانيين .

والواقع أنه في هذا الاطار سجل الشيخ أمين الجميل أن الكويت والمملكة العربية السعودية قامتا بواجبهما الأخوي على أكمل وجه تجاه لبنان واعتبر أن نجاح لبنان هو نجاح كل العرب .

الحواشي

١ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ١٨ آب ١٩٧٦

٢ ـ عوضاً عن خطف الطائرات وتدميرها ، وعوضاً عن ممارسة الارهاب النفسي في جميع انحاء العالم فقد كانت شعاراتهم تتحدث عن ان تحرير فلسطين يمر عبر لبنان والاردن ، او ان تحرير فلسطين يمر عبر عيون السيان وجونيه . . .

٣ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٧٨ ـ حديث الشيخ امين الجميل الى اذاعة «مونتي كارلو»

٤ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٧٨

٥ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٧٨

٦ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٩ كانون الاول ١٩٧٨

٧ ـ احداث ايلول ١٩٧٠ في المملكة الاردنية الهاشمية

٨ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٩ كانون الاول ١٩٧٨

٩ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٩ كانون الاول ١٩٧٨

١٠ ـ راجع «الحوادث» الصادرة بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٧٨

١١ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢١ آب ١٩٧٨

١٢ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٩٧٨

١٣ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢١ آب ١٩٧٨

١٤ ـ راجع «المستقبل» الصادرة بتاريخ ٩ كانون الاول ١٩٧٨

١٥ ـ المرجع السابق

١٦ ـ راجع القناعة الخامسة في فصل «السوريين او قوات الردع العربية»

١٧ ـ راجع «المستقبل» الصادرة بتاريخ ٩ كانون الاول ١٩٧٨ .

١٨ ـ المرجع السابق .

١٩ ـ المرجع السابق .

٢٠ ـ راجع «السفير» الصادرة بتاريخ ١ كانون الاول ١٩٧٨

٢١ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٩٧٨

٢٢ ـ المرجع السابق

٢٣ ـ المرجع نفسه

٢٤ ـ راجع «المستقبل» الصادرة بتاريخ ٩ كانون الاول ١٩٧٨

٢٥ ـ امين الجميل: خطاب عيد العمل، ١٩٧٩

٢٦ ـ امين الجميل: جريدة الجزيرة، ١٣ آذار، ١٩٨٢

٢٧ ـ امين الجميل: «القبس» الكويتية، ٢٦ كانون الثاني ١٩٨٢

٢٨ ـ امين الجميل: «الرأي العام» الكويتية، ١ شباط ١٩٨٢

أمين الجميل وسوريا

بعيدا عن لغة القوة والعنف ، وبعيدا عن لغة التهوّر والمزايدات ، كانت هناك لغة تعرف بـ« لغة العقل والمنطق » تنبع من جوهر الالتزام السياسي . هذا الالتزام الذي يذهب بعيدا الى حد الالزام ، الالزام السياسي . بمعنى أن الالتزام بمواقف معينة ومبدئية متخذة نتيجة منهجية سليمة تؤدي اذا ما أراد صاحبا لالتزام ، الى الزام غيره بها ، لا لأنها تستقوي بالاكراه المادي وإنما بالقوة العقلانية والحجّة المنطقة : « سواء تأزمت الظروف في لبنان أو انفرجت ، فان لبنان هو لبنان ، وسوريا هي جارة لبنان ، ولا بدّ في النهاية من ايجاد سبل للتعاون والتعامل »[1] .

إذا كانت النهاية تعني في « التزامية » الشيخ أمين الجميل أنه لا بد من « إيجاد سبل للتعاون والتعامل » ، فهذا يؤكد أن اسقاط لغة العنف والقوة من الضروريات الأوليّة ، لا بل الاساسية ، لأن هذه اللغة تعطل امكانيات ايجاد الحلول لمختلف المشاكل المطروحة على الساحة اللبنانية .

من هذا المنطق ، وعلى ضوء قناعات ذاتية تستمد من قاعدة التحرك الكتائبي وتتخذ من « الواقعية السياسية » مرتكزا وأسّا ، جاء تحرك الشيخ أمين الجميل السياسي ، قبل حرب « المائة يوم » واثناءها وبعدها يعبّر عن التزامه السياسي وعن هذه القناعات الذاتية السبع :

القناعة الأولى

إنّ مجرّد تناسي الحقائق الثابتة والدائمة التي تربط بين لبنان وسوريا والتي تنبع من التفاعل الجغرافي والتاريخي ، يؤدي الى متابعة سياسة « التصعيد والتفجير » والى

الانجرار أكثر وأكثر وراء « الكارثة » التي لا نهاية لها اذا استمرت . لهذا كان لا بد من الابقاء على الحقائق الثابتة والدائمة التي تربط بين مصير لبنان ومصير سوريا : « ان الأحداث الأخيرة المؤلمة ، وذلك الجو من العنف وثورة العواطف والغرائز والانفعالات لا تنسينا الحقائق الثابتة التي تربط بيننا وبين سوريا والنابعة من التفاعل الجغرافي والتاريخي »[٢] .

وهذه الحقائق الثابتة ليست الا وليدة واقع سياسي ، بما يقتضي التعامل مع هذا الواقع ، وعلى أساس ما يفرضه هذا الواقع ، اذ ان التغاضي عنه واعتباره امرا واقعا يعني التغاضي عن مستلزمات أساسية تساعد على حل المشاكل والقضايا العالقة : « فموقع لبنان الجغرافي لم نقرره نحن ، بل وجدنا هكذا في هذه المنطقة من العالم . كما أن سوريا هي بجوارنا . ولم نقرّر وجودها لا هي ولا نحن . ولا اعتقد أنه من المنطقيّ التفكير في أن ننتزع سوريا من جوارنا ونأتي بدولة النروج لكي تحلّ محلّها . فهذا هو الواقع الجغرافي المسلم به ، ولا يعقل الاّ أن نعترف ونقر بذلك ونعمل على هذا الأساس . وبقدر ما نسعى الى إقامة سياسة حسن الجوار ، بقدر ما يخدم ذلك مصلحة البلدين . وإلاّ سيصبح كل منهما مصدر تآمر وتورّط وشغب بالنسبة الى الاخر . وندخل بلدينا في مسلك لا يعرف أحد سوى الله الى أين سيوصلنا في النهاية »[٣] .

القناعة الثانية

ان الارتباط الأمني او المعادلة التي تقول بأن « أمن سوريا من أمن لبنان » ، الناشئة من « حرب السنتين » والتي أدت الى التدخل العسكري السوري في لبنان والى قيام مبادرة سياسية سورية في لبنان عرفت بـ « المبادرة الأخوية » ، هذه المعادلة هي التي لا تزال تسير منطق العلاقات اللبنانية ـ السورية وكل ما يتهدد هذه المعادلة يعني تهديد العلاقات اللبنانية ـ السورية ، بمعنى أن سياسة سوريا في لبنان هي سياسة امنية بالدرجة الأولى تحافظ بها على أنها واستقرارها . فاذا ما تعرضت هذه السياسة للانتكاسة كان اللجوء الى القوة وسيلة لفرضها . وبقدر ما تخفّ سياسة الانفعال والتهور في لبنان ما تخف حدّة الحساسية لدى سوريا : « ان لبنان منذ ولادته يفتّش عن اخوّة صادقة يتعامل معها على كل الصعد ، وسوريا هي الدولة الوحيدة المؤهلة لأن تلعب هذا الدور وقد لعبته لمدة من الزمن وأظهرت ان في استطاعتها لعب هذا الدور . ولكن عادت الأحداث ووقفت مانعا أمام مسيرتها ، الا أن الباب ما زال مفتوحا في سبيل اعادة جو العلاقة الطبيعية والسليمة بيننا وبين سوريا ، واذا أخذ بروح التعامل الأخوي الكريم والصراحة والصدق وبمبدأ المصير المشترك ، اذ ذاك لا يمكن أن يستعصي حل أي إشكال بيننا وبين سوريا »[٤] .

كأني بالشيخ أمين الجميل يعتبر أن تحول معادلة : « أمن سوريا من أمن لبنان » الى « امتداد امني سوري » في لبنان قد ولد بعض الاشكالات في منطق التعامل . هذه الاشكالات قد تبقي المسائل الاساسية معلقة والاجواء السياسية والأمنية معطلة بانتظار ان تحل . وهذا يعني زيادة في « معاناة » المواطن اللبناني : معاناته من العنف السياسي ومعاناته من العنف العسكري ، بما حمله الى مصارعة « المجهول » و« اليأس » و« الفراغ » .

كما إن هذه الاشكالات قد تزيد الأمور تعقيدا بما يعني الزيادة في « الامتداد الأمني السوري » ، وفي هذا سقوط للمعادلة وخسارة للمبادرة السورية الأخوية في لبنان ، وبالتالي زيادة في الخراب والدمار : « أمنيتي اليوم أن نخرج من هذا الجو الهستيري وأن نعود الى اجواء اواخر ١٩٧٦ ، اذ بدأ العقل ينتصر على الغرائز ، ونعود الى قناعتنا الأساسية المبنية على التعاون المخلص الكريم الصادق مع كل الدول العربية ، وفي طليعتها سورية التي مدت الينا يد العون عندما كنا في حاجة اليها ، ولا تنسينا الظروف هذه المرحلة من العلاقات اللبنانية ـ السورية ، وآمل في أن تمكننا هذه الهدنة النسبية من ترميم الجسور التي صدّعها دوي الانفجارات وتساقط الصواريخ »[٦] .

القناعة الثالثة

إن وجود القوات السورية ضمن قوات الردع العربية في لبنان هو وجود شرعي تكرسه قرارات صادرة عن مجلس الجامعة العربية وتلزمه الاوامر الصادرة عن رئيس الجمهورية اللبنانية الياس سركيس كونه ، بحسب القرار الصادر عن مؤتمري الرياض والقاهرة ، القائد المباشر لهذه القوات ، لذا « علينا ان نتذكر ونذكر بأن قوات الردع العربية هي قوات رسمية لبنانية ، وعلى القوات السورية أن تتذكر أنها جزء من هذه القوات الرسمية اللبنانية ، وبالتالي ، عليها أن تخضع لأوامر الشرعية اللبنانية ورقابتها »[٧] . وهذا ما يقتضي التعامل معها من خلال السلطات الشرعية ، وبقدر ما تأتمر بهذه السلطات تستمر في ممارسة دور القوات الرسمية اللبنانية ، وعلى هذا الأساس يطرح منطق التعامل مع هذه القوات : « إننا ننظر الى القوات السورية كقوات الشرعية بقدر ما تتصرف هي على هذا الأساس لا على أساس الانفراد بالتصرف . ولو مارست الشرعية رقابة حقيقية على قوات الردع العربية وخاصة السورية منها ، ولو أن القوات السورية تصرفت على أساس أن الدولة هي صاحبة الأمرة ورئيس الجمهورية هو صاحب القيادة الفعلية لما كانت حصلت احداث القاع[٨] والأرز[٩] وغيرها وغيرها من الأحداث ، ولكانت مبادرة الرئيس الأسد انتصرت

بروحيتهـاواكتسبت سوريا بالتالي رصيدا في قلوب اللبنانيين بدلا من الحقد الذي خلفه الخراب والدمار والدم »[١٠] .

إن هذا الانفراد بالتصرف من جهة « القوات السورية » وعدم رقابة « الشرعية » لممارسات هذه القوات أدى الى القيام بتصرفات « كانت تحصـل على حسـاب النظـام والقانون والدستور في لبنان . فالتمركز كان كيفيا وعمـل المخابـرات بدون رقيب ، والتعاطف مع بعض الأحزاب ولد الحساسيات»[١١] . والاستمرار في هذا الاطار يعني الانجرار وراء الاخطاء والممارسات الشاذة بما يهدد المصلحة اللبنانية والسورية في آن .

وبما إن وجود القوات السورية في لبنان هو وجود شرعي ، وبما إنه يقتضي النظر الى قوات الردع العربية كقوات عربية وليس كقوات سورية ، فهذا يعني أن مصير هذه القوات ، إن لجهة بقائها في لبنان أو عدمه ، أمر لا يقرره الا السلطات الشرعية . وكل ما يقـال خارج هذا الاطـار إنمـا هو نتيجـة انفعـال ونتيجـة طغيان صوت المدافـع والانفجارات على « الرؤ ية الصحيحة والمسؤ ولة » . لذا ، بالابقاء على « الـردع في لبنان او الاستغناء عن خدماته على أرضنا قضية لبنانية ، ومهما حصـل على الساحـة اللبنانية فانني اعتبر وأقول ذلك بكل صراحة : إن خروج الردع أو بقاءه أمر نقرره نحن اللبنانيين مجتمعين ، وذلك بواسطة الشرعية اللبنانية لأنها الغطاء اللبناني والدولي لكل تحرك يمكننا أن ننطلق منه »[١٢] .

القناعة الرابعة

إن استمرارية وجود القوات السورية في لبنان ، أو بالأحـرى ، وجـود قوات الردع العربية في لبنان لا تحدها الا القدرة على ايجاد القوة البديلة لهذه القوات ، كما لا يحدها الا تحقيق الوفاق بين اللبنانيين . وبما إن تحقيق التفاهم اللبناني ـ اللبناني يؤدي الى ايجاد القوة البديلة لـ « قوات الردع العربية » ، وبالتالي يمكن عندها طرح موضوع « القوات السورية » المتواجدة في لبنان كما يمكن طرح موضوع الوجود الفلسطيني في لبنان ، لهذا ، كان لا بد من اعتماد طريق العقل والمنطق ، البديل لطريق العنف والقوة من أجل الوصول الى حل يكفل حرية وكرامة جميع الأطـراف ، اذ ان طريق العنف والقوة لن تؤدي الا الى المزيد من العنف والقوة بما يعني استشراء شريعة الغاب التي تنطلق من مبدأ : « العين بالعين والسن بالسـن » . وفي هذا اضرار بمصلحـة لبنـان وبمصلحة جميع الأطراف : « إن إيجاد القوى البديلة لـ« قوات الردع العربية » يكون من خلال الوفاق اللبناني ـ اللبناني الذي عبره يمكن أن يطـل على موضـوع القـوات السورية في لبنان وعلى موضوع الوجود الفلسطيني على أرضنا . وكل من يريد ابدال قوات الردع بالقوة الذاتية يكون قد عرقل مسيرة الوفاق . أي إن الوفـاق اللبنانـي ـ

اللبناني هو بمثابة البديل للقوات العربية الموجودة على أرضنا ، ومن دون الوفاق يكون قد شجعنا الوجود الغريب على أرضنا لأجل غير مسمّى »[١٣] .

القناعة الخامسة

إن تحقيق الاستقرار في لبنان والمنطقة يمر عبر تحالف صحيح واستراتيجي بين اطراف مثلث يضم لبنان وسوريا والمقاومة الفلسطينية . وبقدر ما يتم تقوية مناعة هذا المثلث بقدر ما يتحقق ضمان الاستقرار في لبنان والمنطقة . والعكس صحيح . والتجربة أكبر برهان . لذا ، فالعمل من أجل تحقيق قاعدة الاستقرار يجب أن لا تحده الانفعالات واطلاق الغرائز

فكما إن هذه القناعة ولدت اثناء حرب السنتين : «إن قاعدة الاستقرار في لبنان والمنطقة هي في قيام تحالف صحيح واستراتيجي بين لبنان والمقاومة الفلسطينية وسوريا التي تتحمل عبئا تاريخيا في هذه المواجهة لأن أمن هؤلاء الفرقاء الثلاثة مترابط بشكل مصيري. إننا حريصون على المقاومة التي تتوخى تحريري فلسطين حرصها على نفسها وحرصنا على لبنان، وذلك ضمن مفهوم التمسك بكرامة هذا الوطن وشعبه ، من ضمن هذا المفهوم ، وهذا الترابط المصيري اللبناني ـ الفلسطيني ـ السوري . نقاتل بضراوة وقوة، ونصادق بضراوة وقوة على ضوئه وهديه»[١٤]، كذلك استمرت هذه القناعة رغم حرب «المائة يوم» ورغم القصف والتدمير: «. . . وان قاعدة الاستقرار في لبنان والمنطقة تكمن في قيام تحالف صحيح بين سوريا ولبنان والمقاومة الفلسطينية»[١٥].

واستمرار هذه القناعة والعمل على تأكيدها رغم ما يعترض تحقيقها من صعاب ورغم التفكك[١٦] القائم بين أطراف « المثلث » لهو دليل على عدم انعدام الرؤية الصحيحة ، هذه الرؤية التي تكفل تطور العلاقات من جديد واحياء « المثلث » الذي يمثل قاعدة الاستقرار في لبنان والمنطقة .

القناعة السادسة

إن الحفاظ على العلاقات بين حزب الكتائب اللبنانية والقيادات السورية من جهة وبين الجبهة اللبنانية والقيادات السورية من جهة أخرى كفيل بايجاد الحلول للمسائل المطروحة على الساحة اللبنانية . وكل تأزم في حسن سير هذه العلاقات يؤدي الى الانعكاس سلبا على لبنان . فالضرورة تقضي اذن ، وان طغت أصوات المدافع والصواريخ ، الحفاظ ولو على « شعرة معاوية » تؤدي فيما بعد الى انقاذ العلاقات اللبنانية ـ السورية : « من خلال الوفاق السياسي بين الجبهة اللبنانية بصورة خاصة

والرئيس حافظ الأسد يسهل الى حدّ بعيد الوفاق السياسي في لبنان الذي يعتبر مدخلا لكل حل على الأرض اللبنانية ، وبدونه لا نستطيع أن نحل مشاكلنا في لبنان »[١٧] .

على ضوء هذه القناعة ، كان لا بد من الاتصال المباشر بين أطراف الجبهة اللبنانية والقيادات السورية ، وقد أسهم الشيخ أمين الجميل في بعض هذه الاتصالات المباشرة[١٨] ، بصورة فعالة ، كما إنه أسهم في الحفاظ على « شعرة معاوية »[١٩] مع سوريا من خلال السلطات الشرعية أثناء حرب « المائة يوم » والحديث الذي أجرته معه « الوكالة اللبنانية للانباء » بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٧٨ يؤكد هذه القناعة وأولويات الحفاظ على العلاقات اللبنانية ـ السورية[٢٠] . وأهمية هذا الحديث تكمن في أنه أتى في وقت كان صوت المدفع والانجرار وراء الغرائز والانفعالات أقوى من صوت الكلمة المسؤولة والترفع عن صغائر الأمور والحساسيات .

القناعة السابعة

إن إنقاذ لبنان من أجواء المأساة والمعاناة لا يمكن أن يتم إلا عبر تجنب وقوع أية صدامات ومحاولة تحويل الصراع من ساحة القتال الى طاولة المفاوضات ، وهذا يفترض موقفا عقلانيا هدفه الانتصار على خط الغرائز والانفعالات البدائية : « . . . أما الموقف العقلاني الذي وقفته والرامي الى تجنب وقوع أي صدام مع قوات الردع المتمركزة في بعض المناطق ، هذا الموقف أتى بالطبع بالهدوء النسبي اليها ، كما شجع الدولة على إنقاذ ما يمكن إنقاذه من علاقات »[٢١] . وليس هذا الموقف الا دلالة على « تحكيم العقل وتقديم المصلحة الوطنية فوق كل شيء ، وهو اصعب بكثير من مواقف صب الزيت على النار أو الهوس او الانفعال ، لأن الانفعال مهما كانت مبرراته يجب أن تحكمه الخطط لا الغرائز »[٢٢] . لهذا فإن عملية « إنقاذ لبنان » أو إنقاذ ما يمكن إنقاذه من العلاقات اللبنانية ـ السورية يمر عبر تحكيم العقل والمنطق حيث يتم الخروج من « دوامة العنف » التي إن استمرت ، فالشعب اللبناني وحده هو الذي يدفع ثمنها .

من خلال هذه القناعات الذاتية السبع نسأل : هل يمكن اطلاق مختلف التسميات اللاواقعية على المواقف العقلانية التي تنطلق من منهجية مدروسة والتزام سياسي مسؤول ؟

الموقف هو موقف . لا دخل للاعتدال او للتصلب فيه ولا دخل للحمائم او للصقور فيه . إنما ينطلق عبر الرؤية الصحيحة للأمور من أجل اتخاذ الموقف الملائم ، وإن تعدى حدود المواقف العادية واعتباره موقفا مميزا : « لقد كانت لي مواقف مميزة في أثناء الحرب وبعدها . فلا المدافع ولا الانفجارات حجبت عني الرؤية الصحيحة التي

يجب أن تسيطر في النهاية على عقل كل لبنان مخلص »[٢٣] .

والموقف المميز يعبر عن شجاعة يتم بها مجابهة رأي عام ، سياسيا كان أم شعبيا ، وقد يكون كاملا ، دغدغت الاحلام والتخيلات أفكاره : « يصعب على المواطن في الظروف المأساوية التي يعيشها ان يسمع كلام المنطق والعقل والمصلحة الوطنية ، وانه يفضل في ظروف كهذه الاستماع الى عبارات تدغدغ مشاعره وتبلسم ولو لبرهة جراحه ، انما من واجب المسؤول أيضا أن لا يتخلى عن مسؤولياته ، فعندما تدعو الحاجة لأن يدافع بكل ضراوة وجرأة وشجاعة عن حقوقه المداسة ، عليه في الوقت نفسه أن يتخلص من غرائزه ومشاعره البدائية، ويفكر أيضا بالشجاعة والجرأة والضراوة ذاتها بأفضل السبل لانقاذ لبنان»[٢٤].

ومن خلال هذه القناعات السبع أيضا يتبين أن المسائل الواقعية تتطلب حلولا واقعية ، واذا كان جميع الأطراف ، أو أغلبيتهم ، ينشدون التوصل الى هذه الحلول ، فهذا يعني إن العنف والقوة لا يحل القضية ، بل يزيدها تعقيدا : « إن استخدام القوة من أي طرف كان ، ولغة العنف ، ليس بالوسيلة الفضلى في معالجة المسألة اللبنانية أو معالجة القضايا العربية ، وهي أيضا ليست الوسيلة لمعالجة ابقاء الردع في لبنان أو ذهابه منه ، وعدم استخدام هذه الوسيلة في معالجة هذا الموضوع يترتب على كل الاطراف »[٢٥] .

والمسائل الواقعية ايضا تتطلب تعاملا واقعيا بين جميع الأطراف ، أو بين أغلبيتهم ، وهذا ما يسمح بايجاد منطق في التعامل يساهم في التخفيف من حدة الحساسيات ، والتي تزيد منها الأجواء السياسية غير الطبيعية : « إننا ضد مبدأ أخذ البريء بجريرة المذنب والمتعاون مع الشرعية من أجل المساهمة في استقامة مسيرة الأمن الوطني ، بجريرة المتخاصم . وإننا عارضنا واستنكرنا بعض الأعمال بذات الصراحة والحرارة التي قاومنا من خلالها . فليس لمصلحة سوريا على الاطلاق أن تأخذ من فريق على حساب فريق آخر . واذا كان من مطلب معين لسوريا فالأنسب لها أن تحصل عليه من قبل كل الشعب اللبناني الممثل بالشرعية . وأن توافق عليه كل الأطراف . لأنه اذا قبل طرف وعارض الآخر ، فسينتفض هذا الأخر وتكون الانتفاضة على حساب الامن ومصلحة سوريا بالذات »[٢٦] .

ولو لم يكن المنطق في التعامل متبرجرجا وقابلا لخلق الحساسيات وبالتالي قابلا للانفجار في كل لحظة لما كان « الخاسر الاول هو لبنان لأنه تدمر اقتصادا وعمرانا ، والخاسر الثاني هي سورية لأنه فرضت عليها حرب على غير الساحة الطبيعية لحربها . والخاسر الثالث هم العرب لأنهم على وشك أن يخسروا لبنان . والخاسر الرابع هي

الانسانية التي تفقد اليوم تجربة انسانية فذة فريدة من نوعها تقضي بتعايش الأديان والحضارات في وطن كان للوئام والسلام مثالا[٢٧] .

هذا المبدأ الثابت سار عليه الشيخ امين الجميل حتى في المراحل العصبية التي مرت بها العلاقات اللبنانية ـ السورية فكان ينادي بأجراء الحوار البناء وفتح صفحة جديدة في العلاقات داعلياً الى تناسي الاحقاد والضغائن وهو لم يحمل السلاح ضد الجيش السوري الا بعد ان انحرف هذا الجيش عن الغاية الاساسية التي دخل لبنان من اجلها وتحولت مهمته من مهمة انقاذ الى فريق يشكل خطراً على السيادة والاستقلال .

امام تلك التجاوزات ثارت الحمية الوطنية والكرامة عند الشيخ امين الجميل واضطر مكرهاً الى القتال ليظهر للجميع ان مناداته بالحوار ليست ناجمة عن ضعف او خوف ، بل عن تعقل راجح لأنه ما آمن يوماً بلغة السلاح وسيلة لحل المشاكل .

لقد اثبت في جميع مواقفه انه لا يقبل ان يكون لبنان مصدر تآمر على سورية ولكنه في الوقت نفسه يرفض رفع هذا الشعار للتظلل وراءه وتنفيذ مآرب مشبوهة لا يمكن لأنسان له ذرة من الكرامة ان يقبل بها . ولطالما دعا سورية الى التعقل والتعاون مع لبنان بقلب مفتوح يقوم على اسس من الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة حتى وصل في طروحاته الى ابعد حدود الايجابية محذراً من ان اي مساس بلبنان قد يحوله الى قضية تفوق القضية الفلسطينية بأهميتها وخطورتها .

ففي حديث صحفي تناول فيه العلاقات اللبنانية ـ السورية قال الشيخ امين الجميل : امنيتي ان نخرج من هذا الجو الهستيري وان نعود الى قناعتنا الاساسية المبنية على التعاون المخلص الكريم الصادق مع كل الدول العربية وفي طليعتها سورية التي مدت الينا يد العون عندما كنا في حاجة اليها ولا تنسينا الظروف هذه المرحلة من العلاقات اللبنانية ـ السورية وامل في ان تمكننا الهدنة القائمة من ترميم الجسور التي صدعها دوي الانفجارات وتساقط الصواريخ .

وقال : يد الكتائب ممدودة لسورية وقد اكد الشيخ بيار الجميل ذلك في عز القصف الصاروخي والمدفعي وذكر الرئيس الاسد بمواقفه الجريئة تجاه لبنان وتمنى عودة البلدين الى هذه الاجواء .

ولكن الشيخ امين الجميل لم يكن يريد اعادة هذه العلاقات بأي ثمن بل قال ان ذلك يجب ان يتم من خلال الشرعية التي تبقى الجسر بين جميع الاطراف وعليها ان تضع الارضية الصالحة لاعادة هذه العلاقات الى طبيعتها .

لقد روجت اجهزة الاعلام الخارجية والمغرضة وفي طليعتها السورية بأن الصراع القائم على الارض اللبنانية هو حرب اهلية وصوروا الفريق اللبناني المتمثل بالجبهة اللبنانية بأنه يسعى للتقسيم ولكن مثل هذه المزاعم كانت مفضوحة . فالذين عرفوا

الشيخ امين الجميل ادركوا جيداً انه لم يحمل السلاح لخوض حرب اهلية لان ذلك اصغر من ان يشده ولكن حمل السلاح للدفاع ببطولة نادرة وبشجاعة فائقة عن ترسيخ السيادة اللبنانية وعن الدور اللبناني في المنطقة رغم كل ما احيط به لبنان ام ما فرض عليه من مخططات التآمر ، لقد حمل السلاح في سبيل الانفتاح على الجميع وخصوصاً على العرب وسورية في الطليعة فهو يقول : « تأكيداً لارادتنا بأن لا تكون علاقتنا مع سورية علاقة مرحلية لو رهينة ظروف معينة جهدنا في تأسيس هذه العلاقة على ضوء الاعتبارين الاتيين :

ـ الانفتاح على سورية وجه من وجوه قناعتنا بأنفتاح لبنان على العالم العربي وعلى العالم بأسره

ـ الانفتاح على سورية او على اي بلد اخر لا يمكن ان يبنى الا على اساس الاحترام المتبادل واستقلال مطلق لكل الاطراف .

من هذا المنطلق تعاملنا مع سورية على اسس الكرامة والصدق ولما وقع انحراف عن الخط بسبب هذا العامل او ذاك ، او نتيجة هذه الاعتبارات او تلك اختل توازن العلاقات ، والكل يعلم كم ضحينا وعلى حساب مصالحنا السياسية الشخصية لانقاذ علاقات لبنان مع سورية من المأساة التي وصلنا اليها . فالوفاء والعنفوان يقتضيان علينا ان ننصح السوريين لنعينهم على انقاذ انفسهم بنفس السعي الذي بذلناه لانقاذ لبنان ـ غير ان رياح بعض عناصر السلطة السورية جرت على غير ما كانت تشتهيه القيادة العليا في دمشق . من هنا كانت اعادة تقويم الاوضاع هي افضل ما يساعد في الخروج من محنة العلاقات فمبقدار ما نحن امناء على تاريخ لبنان نحن نحترم جغرافيته ونعمل على اساسها .

« اننا لا نكن للسوريين اي حقد رغم كل ما حصل في لبنان بل اننا ندعو إلى اقامة علاقة مميزة مع السوريين ولكن من غير أن يسمح احد لنفسه بالتآمر على حريتنا وكرامتنا أو التآمر علينا. ان المعادلة «امن سورية من امن لبنان» ليست كافية لتبرير السلوك السوري المتفرد او المعاند في لبنان لأنها تؤدي الى الاقرار بان الفوضى في لبنان تنتج عن الفوضى في سورية هذا دون ان ننسى ان هذه المعادلة تقود ايضاً الى الاقرار بأن امن سورية هو من امن تركيا ومن أمن العراق الى اخره[٢٨] .

وفي سبيل ترجمة الاقوال الى افعال تعود بالنفع الى العلاقات اللبنانية ـ السورية كان الشيخ امين الجميل لا يترك فرصة الا وعمل فيها من اجل تمتين هذه العلاقات فأجرى اتصالات مع المسؤولين السوريين في لبنان المتمثلين بكبار قادة الردع وكان صريحاً معهم إلى أبعد حدود الصراحة فلم يساوم ولم يناور بل كان واضحاً في مطالبه واستطاع بما له من قوة اقناع وبما يجاهر به من حق ان يقنع محاوريه بوجهة نظره العادلة

وقد عادت هذه اللقاءات على لبنان بالخير العميم وجنبت بعض المناطق ويلات القتال وانقذتها من الخراب والدمار، واهالي المتن بشكل أخص وجميع اللبنانيين بشكل اعم شهدوا لأمين الجميل سلامة هذا الرهان، وايجابية هذا الجهد.

لقد استطاع الشيخ امين الجميل أن يحقق بقوة المنطق ما عجزت البندقية والمدفع ان يحققاه وخدم العلاقات اللبنانية ـ السورية كثيراً ولكن قوى الشر والتآمر والايدي الخفية المدفوعة من الخارج كانت تتدخل في كل مرة لتنسف بعض مابناه،والهدم اسهل باشواط من البناء،ولكن مع ذلك بقي على ايمانه الثابت بأن في النهاية لا يصح الا الصحيح وان النصر سيكتب لقوى الخير. بحيث تدرك سورية انها لن تستطيع ان تجعل لبنان ولاية خاضعة لنفوذها بل انه دولة مستقلة ذات سيادة لها كلمتها المدوية في الامم المتحدة والعالم كله وكثيراً كثيراً ما ساعد الدول العربية كلها في ازماتها ومتى تحقق ذلك انتفى الخلاف وسارت العلاقات بين البلدين سيراً طبيعياً مما يعود عليهما بالنفع العميم، والشيخ امين الجميل يريد العلاقات مع سورية علاقات الند مع الند تقوم على اساس من الاحترام بحيث لا يحاول اي فريق ان يفرض شروطه وسيطرته على الفريق الاخر .كان من المؤمنين بضرورة حسن الجوار وفوائدها على المصلحة العامة ولذلك نادى بنبذ لغة العنف والجلوس الى طاولة المفاوضات ووضع اسس راسخة ثابتة للتعامل خصوصاً ان هناك جوامع مشتركة يمكن ان توحد الموقفين اللبناني والسوري وتقربهما.

وفي هذا المجال يقول الشيخ امين الجميل : « في اكثر من مرة اعلن الشيخ بيار الجميل انه لا بد من قيام حوار ولا بد ان تعود المياه الى مجراها الطبيعي واكثر من مرة اعلن الشيخ بيار انه اذا كان جارك بخير فأنت بخير وقال ايضاً اذا ربحنا العالم وخسرنا سورية فلا فائدة من ذلك وان كان جارك بخير فأنت بخير الى ما هنالك من امثلة رددها الشيخ بيار مراراً على مسامع الجميع . كما مد اكثر من جسر ومبادرة الى الرئيس الاسد بالذات من اجل انقاذ العلاقات الكتائبية ـ السورية . وفي الوقت ذاته نسجل ايجابياً وقف النار بيننا وبين سورية ونسجل ايضاً ايجابياً الهدنة القائمة في العلاقات انما ذلك لا يكفي خاصة وان الحملة الاعلانية ان هي خفت فهي لم تتوقف بعد . فلذلك نؤكد حرص الكتائب ان تصل مع الصديقة سورية الى مرحلة الحوار الجدي الهادف البعيد عن الصواريخ والاتهامات.

ودعا الى بلورة المصالح المشتركة وهي كثيرة جداً وبلورة الاهداف المشتركة وهي كثيرة ايضاً بين البلدين لان ما يجمع بين لبنان وسورية اكثر بكثير مما يفرقهما وبمجرد اننا اكدنا ضرورة احترام سيادة كل بلد ونظام كل بلد والشرعية في كل بلد يكون هذا من باب اولى لاقامة هذا الحوار وبعد ذلك هناك مصالح مشتركة بين البلدين على الصعيد

الاجتماعي والصعيد الامني وشتى الاصعدة . . . لا يوجد صعوبة بالاتفاق على تلك المصالح المشتركة وهذا يخدم البلدين وهذا يحافظ على سيادة البلدين .

غير ان الشيخ امين الجميل ان كان يطالب بالتفاهم مع سورية ويرحب به فهو لا يقبل به مشروطاً كما انه لا يقبل بأن يتم على حساب لبنان وسيادته ولذلك كانت له مواقف واضحة في هذا المجال انتقد فيها التجاوزات السورية بجرأة وسمى الاشياء باسمائها . واعلن بجرأة متناهية يوم دعت الحاجة ان سورية تعمل ضد الوفاق الوطني في لبنان وتحول بكل قوتها دون تحقيقه . كما انه انتقد هيمنة القوات السورية التي لم يكن للسلطة اللبنانية اي سلطة عليها رغم ان قرارات القمة التي تشكل الردع بموجبها كانت صريحة وواضحة واعطت الرئيس سركيس وحده حق اصدار الاوامر لهذه القوات . كما اتهم سورية بأنها هي التي عرقلت الحوار الكتائبي الفلسطيني وتدخلت بصورة فعالة لايقافه .

اما عن الدور السوري في عرقلة الوفاق الوطني يقول الشيخ امين الجميل : « ان سورية تحمل قسطاً كبيراً من مسؤ ولية عرقلة الوفاق واعطي مثالاً على ذلك عندما حاول الرئيس الياس سركيس ان يأتي بحكومة تجمع كل الاطراف ويكون فيها ممثل سورية عاصم قانصوة، وممثل الحركة الوطنية وليد جنبلاط، وممثل عن الجبهة اللبنانية، وكل الاطراف تجمعهم طاولة الحكم وبرئاسة الياس سركيس وكانت الحكومة برئاسة تقي الدين الصلح والذي حصل هو الايعاز الى عاصم قانصوه للاعتذار عن المشاركة. وهذا دليل من مجموعة ادلة عن امتناع سورية عن ضرورة دفع عجلة الوفاق في لبنان في الوقت الحاضر».

وعن انتقاده لتجاهل قوات الردع لاوامر الرئيس سركيس قال الشيخ امين :

« اما فيما يتعلق بالشرعية فالامر لم يعد سراً . . . حسب مقررات القمم العربية فأن الرئيس سركيس هو القائد الاعلى لقوات الردع العربية . والواقع ان الرئيس سركيس هو آخر من يامر هذه القوات ، ليس بوسع الرئيس سركيس ان يأمر بتعديل موقع اي حاجز او اي تواجد عسكري سوري على الارض اللبنانية ليس بوسعه ان يأمر اي عنصر من عناصر الردع ، وبات العميد سامي الخطيب مجرد ساعي بريد بين الرئيس سركيس والقوات السورية ، هذا في حال رغبة هذه الاخيرة بتلقي الرسائل . ذلك ان معظم هذه الرسائل تبقى بدون جواب او لا يتم استلامها اطلاقاً » .

هكذا يفهم الشيخ امين الجميل العلاقات اللبنانية ـ السورية ولعل مفهومه هذا تجلى في الرسالة التي وجهها الى الرئيس الاسد والتي عكست حقيقة الموقف الذي يقفه الشيخ امين من هذا الموضوع اذ قال : « رسالة من القلب وان قلنا من القلب ليس من باب المجاملة ان اقول رسالة من القلب لانني حريص على مصلحة بلادي وحريص على

مصلحة شعبي في لبنان والرئيس الاسد حريص على سورية ومصلحة شعب سورية والذي يحب وطنه ويعمل لاعلاء شأنه عليه ان يتجاوز كل المحن التي مرت به وكل المأساة التي عانى منها . فلذلك ومحبتي للبنان وحرصي على صالحي الوطني تدفعني لكي اوجه هذه الرسالة من القلب واقول بأن الاوطان لا تبنى على الضغينة بل تبنى على الانفتاح فاذا اردنا ان نعمل لمصلحة بلدينا ومصلحة لبنان علينا ان نتجاوز تلك المحنة القيمة التي مرت على العلاقات بين بلدينا وان نعود ونتكاثف من اجل الوصول الى الاهداف التي نعمل سوياً من اجلها خاصة وان المصالح المشتركة بين بلدينا هو اكثر بكثير من المصالح المتضاربة . يبقى ان نعرف كيف نوظف الايجابيات لمصلحة الخير ولمصلحة السلام في لبنان .

الحواشي

١ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢١ آب ١٩٧٨ ـ حديث الشيخ امين الجميل الى «النهار»

٢ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٨ تموز ١٩٧٨ الحرب التي وقعت اخيراً بين «القوات السورية» العاملة في اطار «قوات الردع العربية» وبين قوات «الجبهة اللبنانية» من ١ تموز ١٩٧٨ وحتى ١٠ تشرين الاول ١٩٧٨

٣ ـ راجع «الحوادث» الصادرة بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٧٨

٤ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٨ تموز ١٩٧٨

٥ ـ جاءت هذه الهدنة نتيجة اتصالات الشيخ امين الجميل وامين الدفاع في حزب الوطنيين الاحرار اذ وضعت خطة امنية تمّ تنفيذها ابتداء من الرابعة والنصف صباح ١٠ آب ١٩٧٨ حيث اخلت القوات السورية العاملة في اطار قوات الردع العربية ٦ بنايات في ٣ أحياء من الاشرفية هي كرم الزيتون ، والسيدة ، وسليمين . وقد تجمعت العناصر السورية في برج رزق الذي اعتبر مركزاً رئيسياً للتجمع ، كذلك في بنايتي ابو حمد وحبيس وبنايتين جديدتين في منطقة رزق هما بناية شعيا وبناية السنا.

٦ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢١ آب ١٩٧٨

٧ ـ المرجع السابق

٨ ـ حيث جرت مجزرة ذهب ضحيتها ٣٦ قتيلا ، وذلك في ٢٨ حزيران ١٩٧٨

٩ ـ حيث جرت مجزرة ذهب ضحيتها ٦ قتلى بينهم نجلا الشيخ اسعد كيروز شقيق نائب المنطقة الشيخ حبيب كيروز واثنان من آل طوق . وجاء في بيان لقوات الردع العربية انه نتيجة لما رافق تنفيذ المهمة من ممارسات ونتائج لا تتوافق مع روحية الاوامر المعطاة في مثل هذه المهمات ، فقد أحالت المسؤ ولين عن المجزرة على المحكمة الأمنية تلك التي انشئت بعد احداث الفياضية في ٧ شباط ١٩٧٨

١٠ ـ راجع «الصياد» الصادرة بتاريخ ١٩ ـ ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٨

١١ ـ المرجع السابق

١٢ ـ المرجع نفسه

١٣ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢١ آب ١٩٧٨

١٤ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٢٦ ايار ١٩٧٦

١٥ ـ راجع «الحوادث» الصادرة بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٧٨ ، وبهذا المعنى مجلة «المستقبل» الصادرة بتاريخ ٩ كانون الاول ١٩٧٨

١٦ ـ التفكك في العلاقات بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية اثر «حرب السنتين» ، وتفكك العلاقات بين اللبنانيين والسوريين اثر حرب «المائة يوم»

١٧ ـ راجع «العمل» الصادرة بتاريخ ٤ حزيران ١٩٧٧

١٨ ـ زيارته الى سوريا ضمن وفد كتائبي ٢ تشرين الأول ١٩٧٦ ، زيارته لوحده في ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٦ ، كذلك في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٦ ، وفي ٢٣ آذار ١٩٧٧ ، وزيارته مع وفد كتائبي في ٣٠ آذار ١٩٧٦ ، ولوحده في ١٨ حزيران ١٩٧٧ . . .

١٩ ـ راجع «الصياد» الصادرة بتاريخ ١٩ ـ ٢٦ تشرين

الاول ١٩٧٨

٢٠ ـ راجع الصحف اللبنانية الصادرة بتاريخ ٢٨ تموز ١٩٧٨

٢١ ـ راجع «الحوادث» الصادرة في ١٥ ايلول ١٩٧٨

٢٢ ـ المرجع السابق

٢٣ ـ المرجع نفسه

٢٤ ـ راجع «الصياد» الصادرة بتاريخ ١٩ ـ ٢٦ تشرين الاول ١٩٧٨

٢٥ ـ راجع «النهار» الصادرة بتاريخ ٢٨ تموز ١٩٧٨

٢٦ ـ راجع «الحوادث» الصادرة بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٧٨

٢٧ ـ راجع «الصياد» الصادرة بتاريخ ١٩ ـ ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٨

٢٨ ـ أمين الجميل: محاضرة الانتفاضة اللبنانية والدور الآتي ـ ١٩ نيسان ١٩٧٩

الفصل الخامس
أمين الجميّل ومُستقبل لبنان

في ضوء هذا كله لا بد أن يكون للشيخ أمين الجميل نظرة واضحة الى مستقبل . الى لبنان الذي يقاتل اللبنانيون من أجله . اذ لا يعقل بعد هذه السنوات الطويلة من الحرب أن نعود إلى وضع مترجح قابل للتفجير في أي وقت فما هي تصورات الشيخ أمين بالنسبة لمستقبل لبنان ؟

إن العارفين بطبيعة الشيخ أمين الجميل يعلمون علم اليقين بأنه وضع خطة واضحة لمرحلة الانتقال من الحرب الى البناء مسلماً بالوعي والحكمة وبعد النظر . فهو لا يكتفي بأن الوطن قد انقذ بل همه الأكبر هو ايجاد العمل الجاد كي لا يقع لبنان مرة ثانية في تجربة المحنة . وهو يرسم طريق المستقبل من خلال الدراسات الرصينة والتخطيطات الدقيقة بعيداً عن الارتجال لأن اي بناء ان لم يرتكز على رؤ ية فكرية واضحة فهو وهم .

يقول الشيخ امين الجميل ان النتيجة الأساسية للحرب اللبنانية هي أن اللبناني أصبح في وضع يستطيع فيه لا بل يحتم عليه أن يطرح كل شيء وفي كل المجالات . وهذه النتيجة تغير منطق اللبنانيين . فقد انتقل لبنان من «منطق الكمية» الى «منطق النوعية » . فلا يهم اللبناني حجم الخراب بل نوعية البناء . ومنطق النوعية يجعلنا نتوقف أمام ثلاثة عوامل رئيسية :

ـ الشخصية اللبنانية

ـ الحضارة اللبنانية

ـ البنية السياسية اللبنانية .

وهناك ثلاثة مبادىء يطرحها الشيخ أمين الجميل كمدخل لاي حوار من أجل مستقبل لبنان :

المبدأ الأول : للبنان شخصية ذاتية يجب أن تترجم بصورة عملية الى ما يسمى بالوحدات الاقليمية .

المبدأ الثاني : للبنان حضارة أصيلة يجب أن تفرز ثقافة اصيلة او ما يسمى الثقافة المنفتحة .

المبدأ الثالث : واكثر ما يحتاج لبنان هو البنية السياسية اي تطوير اللبناني وتجديده .

ويؤمن الشيخ أمين الجميل إن التفاوت الكبير بين الشعور المدني القائم منذ فترة الاستقلال حتى يومنا هذا كان في أساس الحرب اللبنانية . اذ ان الشعور المدني المتخلف لم يسمح بتطوير المجتمع اللبناني وجعله مجتمعا سياسيا حقيقيا ينصهر فيه المواطنون على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم كما انه حال دون تمكن الدولة من أن تصبح مؤسسة المؤسسات . . . وكان من الطبيعي والحالة هذه أن لا تقوى الدولة اللبنانية على المصالح الفئوية التي تتصارع معها . والحرب التي عشناها ولا تزال تعيشها جاءت تعبر عن هذا الواقع الأليم كما أثبتت صحة ما ورد بشأن التفاوت بين الحماس الوطني والفتور المدني بدليل ان القتال انتهى بغالب وهو الوطن ومغلوب وهي الدولة .

انطلاقا من هذا الواقع وضع الشيخ أمين الجميل الخطط المنطقية المبنية على العقل لتأسيس دولة تجسد الوطن وتطور مجتمعه . . وبما أن الانسان اللبناني هو سبيل البناء كان لا بد أن يركز على بناء هذا الانسان وتحويله الى مواطن لبناني حقيقي .

والآن كيف تنطلق دولة الغد كما يراها الشيخ أمين الجميل؟ دولة الغد يجب قبل كل شيء أن تتحرر من الخدع وتجابه الواقع بصراحة فتقوم على أسس نابعة من صميم الواقع اللبناني لا مستوردة من الخارج لأن ليس ادرى بشؤ ون البيت سوى أهله . فاللبناني وحده يمكن أن يحدد حاجاته الاقتصادية والاجتماعية والانسانية .

وفي حديث عن مستقبل لبنان اشار الشيخ أمين الجميل الى أن التاريخ وحده يخلق المناطق أما القانون فيقتصر دوره على تنظيم المناطق واتخاذ التدابير التي من شأنها ان تتطور شخصيتها وذاتيتها الفريدة . وما دامت جميع بلدان العالم تسلم بواقع المناطق فلا عجب اذا ما طرحنا على بساط البحث قضية المناطق اللبنانية وضرورة تطهير شخصيتها وتنظيم ذاتيتها الادارية .

[ان سياسة تطوير المناطق اللبنانية مفيدة بنظري من ناحيتين: فمن الناحية الأولى يبدو أنها تشكل حلا واقعيا للمشاكل الخاصة بالفترة الانتقالية التي نعيشها اليوم، اعني الفترة المتراوحة بين التقسيم الفعلي الذي أوصلتنا اليه الحرب والوحدة التي نهدف

الى تحقيقها في المستقبل. وهذه الفترة الانتقالية كما حددتها والتي لا يمكن أن نتجاهلها تعالج تدريجيا وعن طريق تعزيز المناطق اللبنانية».

كلنا يعلم أن الشعور بعدم الاطمئنان كان في أساس المشكلة اللبنانية ومنه انطلق الخلاف بين الفئات اللبنانية التي تصب المساعي كلها اليوم في خانة تقريبها من بعضها . ولذلك يجب أن يكون لبنان الجديد مصدر اطمئنان المواطن الى حياته ومصيره ضمن حدود المنطقة التي يعيش فيها فعندما يشعر المواطن باستقرار مصيره ضمن بيئته ومنطقته . فعندئذ وبصورة طبيعية يتجرأ وينفتح على الغير وعلى سائر المناطق . ولذلك فلا بد للفترة الانتقالية من أن تعالج المشاكل التي تعيشها البلاد عن طريق تطوير شخصية كل منطقة وتعزيز ذاتيتها الاجتماعية والادارية .

ويشرح الشيخ آمين الجميل مفهوم الوحدات الاقليمية فيؤكد

« إنها لا تعني التقسيم لا بل على العكس فهي نقيضه . فبقدر ما التقسيم يعني السلطة الضعيفة والدولة المسترخية ، بقدر ما يفترض لقيام الوحدات الاقليمية حكم مركزي قوي قادر على استيعاب وتنمية القوى الذاتية لكل منطقة » .

واريد أن أشدد في هذا المجال على ناحيتين :

الناحية الأولى : التوجه نحو مركزية سياسية قوية قادرة على استيعاب التيارات الانفصالية او التقسيمية .

الناحية الثانية : الاتجاه نحو اقلمة ادارية وتنظيمية واسعة ، قادرة على تنمية الخصائص والتنوع وتحويلها الى ثروات وتراث .

« وعمليتا الاستيعاب والتنمية عملية متكاملة واحدة .

فالاستيعاب وحده يعني الاتجاه الى مجتمع توتاليتاري يغتال المبادرات الذاتية والتعددية الانسانية وهذا ما لا نقره لا عقائديا ولا عمليا . وتنمية الخصائص وحدها تعني الاتجاه الى مجتمع مفكك يقتل الدولة والمواطن وهذا ما لا نقره أيضاً .

إذاً المطلوب والمطلوب بإلحاح القيام بعملية واحدة باتجاهين :

- استيعاب الخصائص
- تنميتها في آن واحد .

إنها تجربة تبدو للنظرة الأولى متناقضة او مستحيلة لكنها بالواقع هي التجربة الانسانية الوحيدة التي ستشكل في الثلث الأخير من القرن العشرين الصيغة الحية الوحيدة للقرن الواحد والعشرين .

ومن الناحية الثانية ، فإن السياسة الرامية الى تطوير شخصية المناطق اللبنانية كما نطالب بها لا تصلح لمعالجة مشاكل الفترة الانتقالية فحسب ، بل تصلح أيضا بصورة مطلقة ونهائية لأنها تنسجم مع السياسة الادارية السائدة في العالم كله ، والتي تهدف الى توطيد ركيزة المناطق ، سواء أكان من الناحية الاقتصادية والمالية ، أم الناحية الاجتماعية والثقافية .

ويعطي الشيخ أمين الجميل صورة واضحة عن الدولة الحديثة التي يطمح اليها فيقول إنها يجب أن ترتكز على قاعدتين متناقضتين في الظاهر ومتكاملتين ومتلازمتين في الجوهر :

القاعدة الأولى تقول بضرورة تجزئة الجهاز الاداري بصورة تعكس توزّع المجتمع الى وحدات بشرية منتشرة على أرض الوطن . أي إن التعددية السوسيولوجية يجب أن تقابلها التعددية الادارية بحيث يصبح كل جزء من أجزاء الجهاز الاداري يتحسس الحاجات الخاصة بكل وحدة من الوحدات البشرية التي يتكون منها الجسم الاجتماعي .

أما القاعدة الثانية فتنص على أن التعددية الادارية لا يجوز أن تؤدي الى بعثرة السلطة العامة .

لذلك ، لا بد من اعادة ربط الأجزاء الادارية المتعددة بجهاز اداري موحد وقوي فيكون ذلك نوعا من التعددية ضمن وفي سبيل الوحدة .

أما على الصعيد القانوني فتنعكس هذه القواعد بشكل يؤدي الى تكريس الوحدات الاقليمية وتعزيز شخصيتها من جهة ، والى ربط هذه الوحدات بالسلطة المركزية بصورة عضوية ومنطقية من جهة ثانية .

فيما يتعلق بالوحدات الاقليمية نرى أن لا بد من اعطائها ذاتية ادارية واسعة ، تمكنها من تطوير الحياة الاقليمية من جميع نواحيها ، وهذا هو المفهوم الجديد للديموقراطية اللبنانية . هذه الديموقراطية التي نريد هي ديموقراطية نابعة من الواقع اللبناني بقدر ما الصيغة اللبنانية هي صيغة مركبة وبقدر ما الديموقراطية اللبنانية يجب أن تكون (ديموقراطية مركبة) .

ويرفض الشيخ أمين الجميل أن تكون الدولة الحديثة دولة هامشية فلا تراعي فيها جميع الميادين ، بل يقول بوجوب تحقيق التطوير الشامل على جميع الصور الثقافية والتربوية والسياسية والاجتماعية وتطوير الانسان قبل كل شيء .

فالأنظمة التربوية والثقافية تعكس القيم الحقيقية التي نقلها الينا تاريخ لبنان والتي أصبحت عنصراً أساسيا من عاداتنا وتراثنا الوطني ، ويوصي الشيخ أمين بتحرير تراثنا الفكري من جميع القيود وانفتاح ثقافتنا الحاضرة على التيارات الفكرية المعاصرة . اذ بقدر ما نحرر ثقافتنا الماضية والحاضرة من الذهنية المتحجرة ، بقدر ما نتوصل الى اكتشاف شخصيتنا وضبط هويتنا الضائعة .

لذلك ينطلق من خطة ثقافية واضحة تقوم على ركيزتين اولاها معرفة الشخصية من خلال التاريخ والحضارة والثانية انفتاح ثقافتنا على العلوم والفلسفات الحديثة . فالتفاعل بين الماضي والحاضر يساعد على بلورة الشخصية اللبنانية .

وانسجاما مع بناء الدولة الحديثة يرى الشيخ أمين الجميل ان من الواجب اعادة النظر بنظامنا التربوي بصورة جذرية ليتمكن الشباب اللبناني من تنمية شخصيته . وهو يركز بصورة خاصة على دراسة التاريخ اذ انه يكشف الأحداث التي تعاقبت على الأرض اللبنانية وطبيعة العلاقات التي كانت تنشأ بين الشعوب العربية والغربية والشعب اللبناني .

ويركز الشيخ أمين الجميل على ضرورة انفتاح برامجنا التربوية على كل ما هو عصري وذي قيمة كونية في التيارات العلمية والفلسفية المعاصرة ويشير الى دور الثقافة في ربط لبنان بالعالم أجمع . فالمجتمع اللبناني هو مجتمع منفتح وبالتالي لا بد أن تكون ثقافته منفتحة ، وهو يقول في هذا الصدد :

« لبنان مسؤول عن ريادة ثقافة جديدة لانسان العصر الطالع ، تحرره من قيود الطقوس ورواسب المذهبيات لتدفعه الى الجوهر ، حيث اللقاء الانساني الاعمق والأشمل ، والجامعة هي المنبر الثقافي الأساسي في عهودنا . فاذا كنا نجهد في بناء الدولة الجديدة على قامة الدور الذي نراه للبنان كما نريد ، فمن باب أولى ان تنهض الجامعات في لبنان ، وبالأخص الجامعة اللبنانية ، فتحرر مناهجها وتطور أنظمتها وتندفع قدما للمشاركة في عملية البناء الاجتماعي فتحقق وفاقا ثقافيا للبنان ، على أساس ما شرحنا سابقاً ، مقدمة للقيام بالدور الثقافي على مستوى المنطقة بكاملها وعلى أرقى ما يكون لأنه كلما تقدمت المنطقة واستقرت مدنيا استقر لبنان » .

ويؤمن الشيخ أمين الجميل بأن الدولة الحديثة لا تنهض إلا على أكتاف الشباب الجامعي . فهم القادرون على البناء الصحيح ومحاربة الارتخاء والتحلي بالانضباطية وهم القادرون على المغامرة اذ إن تحقيق النهضة لا يمكن أن يعم الا بالمغامرة .

ويدعو الشيخ أمين الجامعات الى أن تغامر هي بدورها لصياغة هذه الثقافة الجديدة وتقدمها لكل المنطقة التي تعيش مرحلة البحث عن بعد ايديولوجي جديد .

وهنا يؤكد الشيخ أمين لضبط أصولية المغامرة على مبدأين :

- ضرورة الانطلاق من خصوصيات الذات فهي الاصل دائما .
- ضرورة تخطي الذات والانفتاح على خصوصيات الأخرين .

فالمرحلة المقبلة لم تعد مرحلة « الثقافات الانسانية » بقدر ما تتوق الى أن ترسم « ثقافة الانسان » .

هذه أسس لا يمكن التفريط بها او التهاون معها بل نحن ملتزمون بها لأن معركة لبنان مستمرة وهؤلاء الشهداء ليسوا الا قافلة من قوافل الفداء اللبناني الدائم ، لبنان في نضال مستمر من أجل أن يكون وأن يستمر وليس النضال حكراً على ميدان واحد . ونحن الذين لم نقتنع بأن السلاح هو الاداة الوحيدة للبناء الوطني عملنا في وقت واحد . . . على أن تكون هذه الانتفاضة ثورة لبنانية حقيقية تهدف الى بناء المجتمع اللبناني ، وخلق المواطن اللبناني في لبنان أفضل ، انطلقنا بوعي وتصميم في بناء مرحلة جديدة تقوم قبل كل شيء على«تكاملية البناء» ، لأن الحضور الحق لا يأتي من باب واحد ، من هنا كان التكامل بين جميع المؤسسات منها الثقافية ، منها الاعلامية ومنها الاجتماعية » .

والشيخ أمين الجميل من القائلين بأن بناء الانسان هو أساس كل بناء وطني متطور والاعتماد على الرجال ذوي الكفاءة يوصل الى الغاية المنشودة . كما إنه يؤمن بالتنظيم أساساً للانطلاق وحزب الكتائب اشتهر منذ تأسيسه حتى اليوم بالتنظيم . ولبنان يعج بذوي الخبرات فبدلا من أن نترك الأدمغة المفكرة القادرة تهاجر الى الخارج لتعمر وتبني بلدان العالم فلماذا لا نفيد منها نحن فنؤمن لها ما ترتاح اليه لتبقى في وطنها . وهو يقول :

« خضنا تجربة البناء المؤسسي مع شلة من رجال هذا الوطن تثق بنفسها وتؤمن بالحق والصبر والتضحية . فكانت « انتفاضة التنظيم » التي تتشكل اليوم في « أسرة مؤسسات الانماء للبنان » أمالا وتؤكد أن مرحلة الانماء الجديد تفترض منهجية عمل جديد هو « المبادرة المؤسسية» . أجهزتنا المستحدثة التي ظاهرها ثوري فيما واقعها مؤسسي كانت تعمل على استقطاب النخبة وما أكثرها في لبنان . وخلافاً لما جرت عليه الدولة في اختيارها رجالا يتمتعون بذهنية معينة تطغى عليها العقد ومركبات النقص . وذلك كنتيجة للتركيبة اللبنانية المتميزة بتداخل الاقطاع السياسي بالعشائر السياسية

والطائفية السياسية في ظل نظام يسمى ديموقراطيا . فقد تحركت أجهزتنا طليقة اليدين يدفعها أناس متفوقون ومخلصون ومتحررون وضعوا نصب أعينهم شعار تحقيق بناء الدولة والمواطن في لبنان».

وكم من مرة أشار الشيخ أمين الى أنه إذا كان بعض بلدان الشرق الأوسط يعطي النفط والمواد الخام فإن لبنان يؤلف طاقة الخبرة القصوى في إنسان هذه المنطقة وهي ثروة لا تضاهى على صعيد الانتاج والمردودية والتقدم إنها تشكل الأساس النوعي للاستثمارات المعاصرة باتجاه رخاء الجميع .

ويردف هذه الطاقة كون لبنان يؤلف مركزاً صلباً للمدى الحيوي الاقتصادي . فرغم الأحداث التي عصفت بلبنان ورغم محاولات بعثرة الطاقات اللبنانية في حدود الأرض المترامية وعبر فاجعة الاقتلاع الوجداني والاجتماعي والاقتصادي والحضاري ، رغم كل ذلك لم يسقط النظام المصرفي والمالي في لبنان وبقي جزء كبير من حركة الانتاج والفعاليات الاقتصادية تمارس أعمالها في أحرج الظروف كما ان الشركات الدولية ،وان نقل بعضها أعماله من لبنان إلا أنها أبقت على موازنات لها مفتوحة كي تعود حين تعود مسيرة الأمن في لبنان وقد بدأت بالفعل تباشير هذه العودة .

من هنا يرتسم لنا جانب مضيء أكد لبعض الفئات والأطراف في مجتمعنا والمجتمع الدولي أن لبنان حاجة المنطقة . إنه مركز ديناميتها المالي ومركز خبرتها البشرية .

ويخلص الشيخ أمين الجميل من خلال هذه الأفكار والطروحات الى تحديد العلاقة بين لبنان ودول المنطقة فيقول انها علاقة تعاون متبادل وليست علاقة معوزين .

ويؤمن الشيخ أمين الجميل بقدرة اللبناني على الصمود والبناء وتجاوز المحن مهما اشتد خطرها . فهو انسان معطاء صبور صامد يشق طرق الحياة وسط الألغام التي زرعت في طريقه لأنهاء دوره الحضاري . ولذلك فقد ركز اهتمامه وعمل بصمت من أجل الحفاظ على هذا الانسان ودوره بحيث لا توهن عزيمته ويتراجع مهما كثرت الصعاب . فهو يأبى البكاء على الأطلال ، أطلال المصانع والمعامل ، اطلال المنازل والمباني ، اطلال كل ما تهدم خلال هذه الحرب البشعة التي تدرك حصوب الوطن منذ نيف وسبع سنوات دون أن تتمكن من النيل منها .

وبالمقابل فهو يعمل من أجل لبنان الجديد ، لبنان الذي يصبح بالامكان ان تفاخر الدنيا به . ويركز في ذلك على المبادرة الفردية التي اشتهر بها اللبناني منذ القدم

ومن خلالها يمكن بناء المؤسسات وبالتالي الوطن لأن الانقاذ الاجتماعي يقود الى الانقاذ الوطني .

وبما إن عملية البناء سلسلة مترابطة الحلقات فهو يؤمن بأن لكل فرد ومؤسسة وبلدية دوراً في تشييد البناء النموذجي وهو في هذا المجال يقول :

لا يجوز لشعب مثل الشعب اللبناني أن يختنق في قيود التقهقر وهو القادر على صنع التقدم .

صحيح أن الوطن في خطر ولكنه في خطر، منذ زمن طويل. منذ ما قبل هذه الحرب المفتوحة من سبع سنوات نظرا للامبالاة المسؤ ولين او لتلهيهم عن استراتيجية الانماء.

من هنا كان إصرار هذا الشعب على البناء رغم كل الظروف القاسية ، ورغم كل المخاطر الشرسة ، واصراره على البناء هو وجه من حقه في الحياة والحرية .

اللبنانيون ابناء الحياة رغم كل ما يفرض عليهم من أشكال الموت . فأصروا على الأعمال وسط معمعة التدمير والتخريب . اذ الصمود الحقيقي هو الذي يفتح أبواب الحياة وسط جدران الموت . لذلك تحلق المواطنون في كل حي وفي كل قرية وفي كل منطقة ليبنوا الأمل ، ليبنوا الانقاذ ، إيماناً منهم بأنه لا بد من العمل على ما يبقي المواطن واقفاً باباء ، فلكي تبقى القضية عالية لا بد من أن يبقى المواطن نفسه واقفاً .

كانت المسؤ ولية ولا تزال في أن لا ندع المواطن يستقيل من دوره وأن لا يهرب من قدره . فهذا الشعب الذي أثبت كيف يصنع تاريخه بنفسه ، أثبت هذه المرة أيضاً أنه وإن كان البناء وسط الظروف الصعبة مغامرة ، فأن التأجيل قد يصبح شكلا من أشكال المؤ امرة .

فبديل أن نتحسر على صناعات دمرت او توقفت ، على مزارع أحرقت أو أهملت، وعلى متاجر أتلفت أو أصبحت ركاماً، وعلى فنادق أضحت أطلالاً كئيبة، وعلى أسواق أصبحت مقابر منسية.

وبديل أن نتحسر على إنسان أصبح فريسة الجوع والخوف ، على انسان صار اصغر من هم الرغيف ، بلا بيت يربي فيه القيم اللبنانية ومناقبيه العائلة اللبنانية ،

بديل أن نتحسر على تداخل الوضع اللبناني وعلى تفاقم تعقيداته الاقليمية والدولية ،

بديل كل ذلك ، بقينا هنا نسعى وراء وطن نفاخر الدنيا به ليس في صراع على البقاء ضمن اقتطاعات ، بل في سباق على اللقاء بالعالم كله ، لقاء الند للند ، ليبقى لبنان رغم كل محاولات الارهاب صوت الحق ومنارة الأصالة ، من هنا كانت انتفاضة المتن من اجل الانسان . . »

ويرفض الشيخ أمين الجميل أن يقوم لبنان الجديد على بضعة نصوص وصيغ تتبدد عند أول هبة ريح فضلاً عن أنها تقيد الوطن وتحول دون انطلاقه . بل إنه يسعى وراء وطن يقوم بتضافر جهود ابنائه وتعاونهم يقوم بإيمانه الصلب وعلى سواعدهم التي لا تلين وعندها يصبح الوطن وطناً . فقد علمتنا الأحداث التي نشهدها أن الولاء للوطن هو الشرط الأول والاخير للمواطنية . فلماذا نلف وندور حول الحقيقة ولا نتطرق اليها ؟ ان المصارحة هي أساس حسم الكثير من المشاكل الحياتية والاجتماعية والسياسية .

يقول الشيخ أمين :

« إن لبنان مسؤ ولية حضارية ، فإما أن تتفقوا فتبقى للحضارة قضية وإما أن تختلفوا فلا تبقى حضارة ولا تبقى قضية » .

إننا نبحث عن لبنان الوطن ، وليس عن ضمانات للطوائف ، والوحدة اللبنانية التي نريدها هي وحدة مؤ منين بلبنان .

من هنا نقول لجميع اللبنانيين لقد عرف اللبنانيون حتى اليوم أن يقولوا الـ« لا » الكبرى لأعداء لبنان ولكنهم لم يعرفوا بعد أن يقولوا الـ« نعم » الكبرى للبنان » .

« لبنان يقوم على روح التعاون أكثر مما يقوم على حرفية الصيغ والنصوص ، فبقدر ما نعزز نمو أرضنا يتعزز تفاعلنا مع الأرض والوطن »

ويسعى الشيخ أمين الجميل الى تشييد بناء متكامل بحيث لا تبقى فيه ثغرة واحدة ينذس من خلالها أعداء لبنان الى الداخل للتهديم والتدمير على غرار ما فعلوا في المدة الأخيرة ولذلك عمل على تحقيق التضامن بين جميع الطاقات الوطنية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والانمائية والعسكرية وبذلك نحفظ لبنان من الضياع والتفتت والتشرذم . وينوه بدور الفرد الذي استطاع أن يعطي في هذا المجال أكثر مما أعطت الحكومات عبر مراحل الاستقلال .

ومن قوله في احدى المناسبات : « إن الانقاذ الحقيقي هو في تضامن جميع الطاقات اللبنانية تضامناً يواجه على الأرض ، مخاطر المصير

إن يوم الصناعيين والعمال يؤكد أن القضية اللبنانية ليست مسألة اطلاق النار أو وقفه . بل بعد القضية اللبنانية أنها تمتد لتغطي مصيرية الوجود اللبناني في الصميم بكل جوانبه الوطنية والثقافية ، الاقتصادية والاجتماعية ، العسكرية والانمائية .

« إنكم تثبتون اليوم أن القضية اللبنانية ليست مجرد قضية أمنية ، ليست قضية مساومات ومناورات ، بل القضية اليوم هي منع لبنان من الضياع . القضية هي انقاذ وطن ودولة ، انقاذ وسائل الاستمرار الوطني ، وميادين الاستمرار اللبناني ، إنها قضية فداء وإنماء ، فليست هذه الأجساد مجرد دروع ترد التعدي ، بل ان في هذه الأجساد روحاً تعشق الحياة ، وتعلم كيف يكون البناء : إنها اللوح اللبنانية».

« . . . لو ان الدولة أولت الأزمة الاقتصادية والاجتماعية قسطاً من مدى اهتماماتها بالشأن الأمني والعسكري ، لكانت خففت عن كاهل المواطن ، ودفعت الحلول السياسية بالذات الى الامام وعلى طريق الحل المنتظر .

ويخلص الشيخ أمين الجميل الى فكرة واضحة وهي أن لبنان يقوم بابنائه لذلك فمن الضروري الاهتمام بالانسان . غير إن هذا الانسان لكي يصبح قادراً على العطاء يتوجب على المسؤ ولين أن يؤ منوا له حاجاته الأساسية ويعالجون مشاكله الجذرية عن طريق انشاء التعاونيات الغذائية والاسكانية وتطوير الضمان الاجتماعي وتعميم الضمان الصحي . وللشيخ أمين أياد بيضاء في هذا المجال اذ كان اول من فكر ونفذ فكرة التعاونيات ووضع جميع امكاناته في سبيل خدمة الانسان اللبناني وعمل على الاسراع في تنفيذ المشاريع . ذلك أنه يعتقد لو إن الدولة أولت الأزمة الاقتصادية والاجتماعية قسطاً من اهتماماتها بالشأن الأمني والعسكري لكانت خففت عن كاهل المواطن ودفعت الحلسول السياسية بالذات الى الامام وعلى طريق الحل المنتظر .

وهو يقول في هذا المجال :

ما الذي يمنع الحكم من اتخاذ المبادرات والتدابير والتنظيمات التي تكفل حداً أدنى من استمرار القطاع الصناعي والعمالي في متابعة دورة الانتاج رغم الحروب » .

أمن الضروري أن يلجأ هذا الشعب الطيب الذي حمل كل أوزار الحرب والأزمة ، أمِنَ الضروري أن يلجأ إلى السلبيات لانتزاع حقوقه من حكوماته كلما كانت البلاد بحاجة الى عمل بناء .

« ما الذي يمنع الحكم من أن يوفر لكم ولسائر القطاعات التي تشكل المقومات الأساسية لبنية الاقتصاد الوطني ، ما الذي يمنع الحكم من أن يوفر الدعم

المطلوب لحماية الدخل القومي، ولمساعدته على الصمود في زمن الأزمة فيحدّ من هجرة الكفاءات الانتاجية والصناعية، ومن تفشي البطالة داخل المجتمع اللبناني، ومن انتقال الرساميل اللبنانية الى الخارج؟ كما يضع حدا لفلتان الاستيراد دونما ضابط مما أربك السوق الوطنية وجر على المواطنين ويلات فوق ويلات».

والسياسة التي يرسمها الشيخ أمين من أجل بناء لبنان المستقبل لا يقبل بأن تنحصر في تعمير البلاد وبتنفيذ المشاريع الاجتماعية العادية لأنها لا تكون مثمرة بالقدر الذي نتوخاه . وهو يقول بوجوب خلق منطلق وطني جديد كفيل لا بتطوير القطاع الاقتصادي والاجتماعي فحسب ، بل بتطوير الذهنية السياسية بحد ذاتها .

هذه باختصار بعض المنطلقات الأساسية التي يرسي قواعدها ومبادئها الشيخ أمين الجميل من أجل اقامة دولة حرة مستقلة تحتل مركز الريادة في المنطقة وهذه الأفكار لو قيض لها أن تترجم الى اعمال لتحرر لبنان من كل مآسيه ، ولعاد يحتل مركز الصدارة بين دول المنطقة على اسس صحيحة واضحة هذه المرة تكفل حياة المواطن وبقاء الوطن . فمستقبل لبنان ، عنده ، لا بد آت .